

.. سأعلمه كيف يكون حكم العالم !!

# عالم البشير قاتل

ل: محمد علي منصور

رواية

FB / AHMED POPO.13

عصير  
الكتب

عبد البصير..هتلر!!

محمد علي منصور

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر  
الإلكتروني

<http://book-juice.com>

رواية

عبد البصير هتلى

المؤلف: محمد علي منصور

نشر في : أكتوبر 2016

تصميم الغلاف: أحمد محمد السيد علي

تنسيق داخلي : عصير الكتب للنشر الإلكتروني



## إهداء

للحالمين والواهمين ولأصدقائي المقربين, ولكل  
المتحمسين والمحبتين, ولأهلي وعشيرتي الغير  
مقتنعين.

## المقدمة

سيدتي العزيزة مصر

أين تكمن لعنتك ؟

فينا نحن ؟..

أم فيك أنت ؟

أم في الذي لا يجب ذكر اسمائهم المعظمة بسوا منذ 7000 عام حتي

آلان...!

قد نشعر بالفناء في الحلم أو حتى في الكابوس, قد نشعر بالألم والوحدة في  
الحلم أو حتى في الكابوس ولكن ما يحدث لي الآن لم أراه في أغرب أحلامي أو  
حتى في أسوأ كوابيسي وللأسف الشديد أنه حقيقي.

أقف مغمض العينين أخاف أن أفتحهما، أو لا أتمنى أن أفتحهما أتمنى أن يزول  
كل ما يحدث وكأنه لم يكن.

أنا الآن أتذوق ما صنعته، ولكن لم أعلم بأنه سيكون مر المذاق, تمنيت أن  
أفتح عيني وأجد نفسي بالفراش وأعود لحياقي الطبيعية، التي -لشدة غبائي-  
نقمت عليها، أنا الآن أفتح عيني رويدًا رويدًا لأشاهد ما لم يتوقع أحدي العالم  
أنه سيحدث في يوم من الأيام.

دعوني أصف لكم ما أشاهده الآن:

بيوت من خمسة أو ستة طوابق ولكنها لم تبق كذلك, أجد الآن أعمدة إنارة  
وإشارات مرور ولكنها لم تبق كذلك, أرى أشجارًا ونباتات وأيضا لم تبق كذلك,

أرى جنودًا وأطفالًا وشبابًا وشيوخًا ولكنهم ليسوا أممي بل هم أسفل  
قدمي...!!

لقد دُمّرت المنازل وأصبحت خاوية، أصغر ثقب بمنزل يتسع لمرور فيل من  
خلاله ويبدو أن منازل كثيرة لم يتبق لها أسقف لأنها قد سويت بالأرض، ناهيك  
عن عشرات المباني التي أضرمت بها النيران.

أما أعمدة الأنارة وإشارات المرور فيبدو أن أنوارها خفتت للأبد، وإذا كان  
تبقى منها شيء صامد، فحتى الأشجار والنباتات لم تسلم من الدمار.  
هذا كل ما تبقى من (برلين) أو كما ألقبها أنا \*سيدة أوروبا المبهجة\*

يبدو للوهلة الأولى بأن طوفان نوح قد مر من هنا، ولكن طوفان نوح لم يحرق  
فلو كان مر كان سيطفئ هذه النيران ولكن يبدو أن حتى عذاب الله به رحمة  
عن بطش البشر المتجبرين، فأما الجنود والأطفال فكانوا أسوأ ما حدث، كانوا  
جميعًا يسبحون في حمام أو شلال واحد من الدماء.



أجد الآن النساء بجانب الرجال بدون خجل، ولم الخجل الآن فجميعهم

موتى!!؟

للحظات تخيلت أن يوم القيامة يقوم بتمرين بسيط على هذه الأرض، ولكن كيف سأكون أنا حي، كان أسوأ ما رايت هو الأطفال الصغار الذين تبولوا في ملابسهم، أي عذاب هذا وأي خوف قد شاهدته الاطفال قبل قتلهم.

أخذت أشاهد وأتأمل ما يحدث أمامي كان دخان اللهب كان قد أعمى عيني، لا أرى سوى الضباب فكان كل ما بقي أمامي إما الاستسلام وإما الهرب فلن ينتظروا ليفتك بهم الجيش الأحمر، لقد أتوا ولن يرحلوا إلا بعد أن يأتوا على الأخضر واليابس لن ينسوا (بارباروسا)

بتلك السهولة.

عليهم الأخذ بالثأر، ولم يعد الآن مجال العودة متاحًا فالأحمر من الشرق وأمريكا من الغرب، أو بمعنى أدق الموت من الشرق والموت من الغرب، وفي كل ذلك ظل حولي المدافعون لم يرغبوا في الحياة أو النصر الذي لن يتحقق، بل أرادوا فقط حماية أغلى ما يملكون.

لم يريدوا أن يرى أحدهم زوجته تُغتصب أمام عينيه من عشرات الجنود الذين يشعرون بالوحدة بعد ترك نسائهم ويريدون الشعور بالدفاء والحنان، أو يرى



أبناءه أو حتى أحفاده يقتلون أمامه، ولكن أنا لم يكن لي أحدمن البداية لأدافع عنه أو أموت من أجله !

لا، بل لدي، أملك شخصًا واحدًا كما يملكني، هو ذلك الذي حقق لي أحلامي وأعطاني الفرصة مجددًا للعودة من أجل أن أنتقم، ذلك الذي سممني بكلامه القوي والجميل كالعسل، هو الذي توحدت أفكارنا ورغبتنا في السيطرة والانتقام ولكن ماذا حدث له الآن؟ أين أجده الآن؟

وفجأة انتشر في الأجواء صوت إطلاق نار.

ما هذا الصوت؟ ما الذي حدث؟ ماذا؟؟ انتحر!!!

لقد انتهى كل شيء بالنسبة له والآن يعطي نفسه أجازة استجمام طويلة، أعتقد أن وجهته جهنم الآن وأظن أنه قد وصل ولكن ماذا أفعل أنا الآن؟؟ لم يبق شيء لي أعتقد أنه يجب أن أذهب خلفه إلى وجهته فالآن لا وجهة لدي غيرها وأعتقد أن رصيدي من الجرائم يسمح لي الآن بالوصول لوجهتي، نعم يجب أن أرحل الآن.

أين وضعته؟!

أجل لقد وجدته، كم هو جميل، كل ما علي الآن أن أضعه أمام رأسي وأضغط

وهو يعرف ماذا سيفعل، نعم إنه الحل المثالي، فمفعوله أكيد وسريع وأكون حتى  
قد تشبهت به في موته.

أخشى أن أنظر إلى الماء، أخاف أن أريه وجهي، ولكن يا الله أنت فوق في  
السماء، أنت امأمي وخلفي أريد منك أن تسامحني، كل ما علي الآن هو غلق  
عيني فقط، ها هي اللحظة التي انتظرتها.

ويعلو في المكان صوت إطلاق نار!!

\*\*\*\*\*

ولكن لماذا تروي الأحداث من هذا الموقف؟

علينا أن نعود قليلاً للوراء لمعرفة سبب حدوث كل هذا.

نحن الآن في التكية المصرية أو المملكة المصرية المملوكة بالوراق والمستندات للسيد الملك فاروق فؤاد وبعض أسماء الملوك، ولكن يبدو أنه يملك الآن شريكاً، ولكن ليس بالوراق ولكن وضع يد (بلطجة) وهم إخواننا الأنجليز أبناء بريطانيا العظمى.

كان ذلك في أواخر عام 1938 حيث كانت تشهد مصر فترة من ازدهار عصورها، حيث نهب الملك وحاشيته وازداد القمع من بريطانيا الشقيقة وكان الملك يغير خمس أو ست وزارات في العام، أكثر من المرات التي كان يغير فيها سرواله الداخلي، ولكننا لنا من قبل (التكية المصرية) وكان العالم في ذلك الوقت مستعمر حيث كانت تحكم الحالة إنجلترا والعمدة فرنسا نصف تكيات العالم الحديث وكانت تتبادلان المستعمرات كاوراق الكوتشينة في لعبة بوكر سريعة وهذا ما أزعج (العم والعمدة) ألمانيا وإيطاليا

فقامت إيطاليا باحتلال الصغيرة الزنجية الحبشة

وتولي الحكم الفاشي الإيطالي (الوديع موسيليني)

حيث وقف الامبراطور الروماني الجديد(موسيلينيوس) في الساحة أمام الشعب والجنود معلناً بأنه سيستعيد مجد روما الضائع والانتصارات وكلمات لا قيمة لها.

الفرق الوحيد أنه كان يرتدي الزي العسكري بدلاً من زي الأباطرة

هل يوجد فرق بينهم؟

أما ألمانيا فكان الوضع مختلفاً تماماً فبعد السيطرة علي السنغال قضوا علي حكم القياصرة، وأقاموا عهداً جديداً من الحكم الديمقراطي السعيد الممزوج بطعم النازية التي تولت الحكم بقيادة الفوهرر (أدولف هتلر) اسم صغير ولكن سيغير مجرى العالم للأبد.

العالم الآن يلتهب في صمت، سكون يسبق عاصفة

إشارات الخطر ترتفع لم يفق العالم كلياً من صدمة الحرب الاولي فماذا يحدث لو قامت حرب جديدة؟

لقد انتهى درس التاريخ الحمل الآن

لنعد إذن للقائد الأعلى للقصة السيد(عبد البصير إمام)

سنبعد الآن عن هذه الأجواء المتوترة غير الصحية سنذهب إلى مكان هادئ مريح للنفس، بعيداً عن أوروبا وصراعها.

نحن الآن على بعد 800 كيلو متر من مدينة القاهرة عاصمة مملكة فاروق العربية وتحديدًا في مدينة طيبة سابقًا والأقصر حاليًا في أقصى صعيد مصر.

الصعيد في مصر هو وجوه سمحة، نفوس قانعة، خيرات لا متناهية، تجاهل أحقق من كل رجال الدولة منذ عهد المماليك حتي الآن، طيبة أهلها المبالغ فيها والتي تصل إلى الضعف أحيانًا وآخر من تبقى من نسل عرب الصحراء الأشداء.

أنتم الآن لستم ببيعيين عن البيت فقط اعبروا البر الغربي من النيل فأنا أسكن في منطقة القرنة، أسكن بالقرب من الأراضي الخضراء فالنيل جاري والجبل صديقي ولدي جارة عزيزة مشهورة كثيرًا قد تكونون سمعتم عنها، إنها الملكة حتشبسوت فمعبدها الدير البحري على بعد أميال من منزلي.

ولكن جارتي لم تسلم من المحتل كباقي الوطن لقد سرقوا بلدنا وطعامنا فهل سيتركون آثارنا بتلك السهولة؟

لقد تقاسم الإنجليز والفرنسيون آثارنا مسلة هنا وتمثال هناك كأنهم يتقاسمون حلوى العيد.

وأمام منزل صغير من طابق واحد زينت واجهة البيت بالشروخ لم يسلم من عوامل الزمن رُسِمت على الواجهة كعبة شريفة، وجمل بارك ينظر بخشوع لبيت

اللّٰهُ، كُتِبَ فَوْقَهَا يَا دَاخِلَ هَذَا الدَّارِ صَلِّ عَلَيِ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ، كَانَ هَذَا بَيْتَ  
الْمَرْحُومِ الْحَاجِّ سَيِّدِ إِمَامٍ -رَحِمَهُ اللّٰهُ- حَيْثُ نَعِيشُ.

عبد البصير.....عبد البصير هيا استيقظ

لَمْ يَكُنْ هَذَا سِوَى صَوْتِ زَيْنَبَ شَقِيقَتِي الصَّغِيرَةِ وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ عَائِلَتِي الْكَبِيرَةِ  
الْمَكُونَةِ مِنِّي وَمِنْهَا وَمَعَنَا الْحَاجَّةُ فَاطِمَةُ أُمِّي الْعَزِيزَةُ

\*\*\*\*\*

- أمي، أمي!

عبد البصير لا يريد أن يستيقظ.

- كفى يا زينب لقد استيقظت الآن

- هيا يا بُني، لقد أعددت لك الإفطار، أسرع حتى لا تتأخر على العمال في الأرض.

- قادم يا أمي

استيقظت للتو من نوم عميق وقت كانت فيه حياتي مطمئنة

في البيت الذي كبرت به، بيت من طين وصلصال على سطح البيت كانت أمي ترعي قطعاناً من الدجاج والأوز والطيور

مع بيت متواضع وأثاث بسيط ومخزون مدى الحياة من القناعة جاء لنا منحة من الله على بعض عبادة.

كنا نعيش في سعادة، ولا نبتغي من الحياة سوى كتابة نهاية سعيدة حين يأتي الأجل.

فطار دسم سريع مكوناته الجبن والفول واستقطاب بعض الأحاديث السريعة كانت كفيلة لبدء يوم عمل جديد، أنا في الطريق الآن غارقاً في الأفكار.



صحيح! لم أعرفكم بنفسي أكثر.

أعرفكم بنفسي من ملفات الحكومة والبوليس السري فهم يعرفون عن الشخص أكثر ما يعرفه عن نفسه وهو بالخلوة.

الاسم عبد البصير السيد إمام، ابن الحاج سيد إمام وكان إمام وخطيب مسجد القرية

كان قويا صارما في الحق، كان يحبه الناس وكان يكره السادة، رحل عن عالمنا منذ خمس سنوات أورثني سمعة طيبة تكفي للحفيد التاسع والثلاثين وأرضا خصة أعمل وأزرع بها ومعى بعض العمال أعتقد أنني جاوزت العشرين عاما.

كنت أبيض البشرة حتى قامت شمس مصر ببعض التعديلات وأصبح لوني قمحيا، لون 99.99 % من الشعب المصري.

أعتقد أنني وسيم نسيبا كما تقول أمي، أم أنها مجاملة؟

قصير الشعر، عاري الوجه، إلا من لحية خفيفة.

نحيل الجسد كعود قصب.

ليس لدي نشاط سياسي أو ثوري.

ولكن توجد تجاهي بعض التحفظات لأنني أحمل عداً

لواحد من كلاب السرايا، صاحبي الأجساد الممتلئة من خيرات الشعب  
وأصحاب المقولة الشهيرة (موافقون)

في جلسات مجلس الأمة.

وهم مسالمون ولا يفضلون الاعتراض يضعون مصلحة الوطن خلف مؤخرتهم  
السمينة

.....

- من؟ العمدة مخيمر هنا!! أهلاً وسهلاً، تفضل، استرح يا عمدة.
- لم آتِ هنا لآخذ واجب الضيافة، ألم يعد عبد البصير بعد؟
- إنه في الطريق، لن يتأخر كثيراً، تفضل واسترح حتى يأتي، سأجهز لك مكاناً جيداً حتى تستريح به.

يجلس الآن العمدة مخيمر كبير البلد في موقع أمام النيل، وأسفل شجرة كان العمدة صاحب الـ 52 عاماً وهو الرجل الذي يمتلك خزنة بنك بمعدته مليئة بإيداعات من اللحم والدجاج والطيور التي تكفي لفتح ست مزارع، ولا بأس ببعض مزارع السمك وأجولة الأرز.. وإلخ وإلخ.

أخذ بنظرات ثاقبة يتجسس الأرض والزرع والعمال، نظرات أشبه بـ رجل يريد اغتصاب امرأة ويتمنى اليوم الذي يكتب فيه على هذه الأرض (الأرض ملك العمدة مخيمر)

- ما الذي أخرك يا سيد عبد البصير؟

- ماذا هناك يا عبد البر؟

- الضيف الأسبوعي الثقيل بانتظارك.

كان يوم عبد البصير على ما يرام حتى سمع بمجيء نبوخذ نصر الثاني أو مخيمر  
العمدة فكلاهما واحد، وبنظرة مشمئزة نظر عبد البصير للثور الذي فقد قرونيه  
وذيله المنتظر على أرضه وكأنه هو الضيف والعمدة هو صاحب الأرض.

شرع عبد البصير في التحرك تجاه العمدة وقد لاح بخياله اليوم الذي سيقضي  
عليه فيه وتخيل نفسه (أوزوريس) يذهب للعمدة (ست) ليفصل رأسه عن  
جسده المترهل، ولكن كان ينقص قصته فقط سيدة الحسن والجمال (إيزيس)  
للأسف كانت سيدة الحسن قد انتقلت

في تلك القصة من بيت (أوزوريس) إلى هيلتون (ست) الفاخر فايزيس في تلك  
القصة هي سعاد.

سعاد!! وهل ينسى أحد سعاد؟؟!!

\*\*\*\*\*

سعاد بنت الحاج خيرى، (فيرجينيا) جميلة جميلات الأقصر، حلم عبد البصير منذ الطفولة منذ رؤيته لها تعقد خصلات شعرها الصفراء التي تتوهج عند اقتراب الشمس منها فتشتعل نار قلب عبد البصير ليخرج دخان من عينيه له تأثير العطر.

ولكن كان يبدو أن هناك شخص آخر قد انضم للحفلة وهل يوجد غيره؟ نعم، إنه العمدة ولكن العمدة مع 200 كيلو جرام وبعض المال الكثير جدًا تبدو فرصته أقوى وخاصة أن الحاج خيرى والد سعاد كان يحب المال كصديق طفولة حرم منه.

ودارت الأحداث سريعاً بين حسن وعزيزة الأقصر حيث تتلخص القصة في خمسة تواريخ:-

#### 1- (السبت اللي بعد حنة سماح أخت سعاد)

أخذنا على بعضهما الموائيق والعهود بتكملة مسيرة الحب الأبدي الذي نسي تزيق الأبدية وعدم التفرق ووقع كل منهما وثيقة المحاربة على حبه ولكن كانت أمريكا منشغلة فلم يحضر مندوبها للمشاركة في التوقيع.

#### 2- (الاربع اللي بعد دخلة سماح أخت سعاد)

يتقدم العمدة لطلب يد سعاد من الحاج خيرى ومعه بعض المال، وكثير من الهدايا التي هي بمثابة الرشوة لوالد سعاد الجشع، الذي أخذت عينه في الاتساع عندما رأى هذه الهدايا والأموال.

### 3- (يوم الجمعة رابع أيام شهر رمضان)

عبد البصير يقابل الحاج خيرى ملتصقاً كل الطرق ليظفر بحبيبة القلب ولكنه لم يجلب سوى بعض الأعذار وكثير من الوعود فضاقت عين الحاج.

### 4- (الثلاث الموافق ليلة القدر المباركة)

الحاجة فاطمة تحاول إقناع الحاج خيرى مستغلة سمعة المرحوم الحاج (سيد إمام) وسعاد تقسم حتى الرmq الأخير أنها لن تكون

سوى لعبد البصير.

### 5- (الأحد ثالث أيام عيد الفطر المبارك)

دخلة العمدة مخيمر على صاحبة الـ 16 عام والسيدة الأولى للقريه سعاد.

"المال ينتصر في النهاية" ولكن العمدة الآن يريد شيئاً أكبر ولن يتوقف حتى يجرد عبد البصير من كل شيء.

\*\*\*\*\*



- خيراً يا حضرة العمدة؟

- ما أخبارك وأخبار العائلة؟

- بخير الحمد لله يا حضرة العمدة، أرجو الدخول في صلب الموضوع لأتفرغ لعملتي.

أخذ العمدة يلقي نظرات متتابعة بين عبد البصير والأرض التي اكتست بلون القمح الذهبي، والنيل الذي يحتضن الأرض، وأشعة الشمس المتسربة من سماء زرقاء اللون تضيف رونقاً جميلاً في نفس العمدة الذي كان ينظر باستعلاء لعبد البصير مستنكراً عليه تلك الأرض التي تشعره للحظات أنها سقطت من أرض الجنة وأن عبد البصير اشتراها من رضوان خازن الجنة، والتي أضفت على عبد البصير نوعاً من الحزن فسقوط الشمس مع لون القمح يذكره بسعاد صاحبة الشعر الأصفر والتي أيضاً كان لا يرضى لها أن تتزوج العمدة صاحب اللحم المترهل.

- اسمع يا عبد البصير، لقد ضاعفت لك ثمن الأرض عن آخر مرة، بالمناسبة ما هو آخر رقم توقفنا عنده؟

- 2500 جنيه يا حضرة العمدة

- لا، أنا سوف أدفع لك 6000 جنيه، ما رأيك؟

- أخبرتك يا عمدة مرة تلو الأخرى، ولكن لا بأس أن تلك الأرض ليست للبيع، ماذا أفعل لكي تصدق؟

- لا تتسرع في ردك يا عبد البصير، الكلام ليس بهذه الطريقة.

- أخبرتك مرارًا يا عمدة، أن تلك الأرض ملك أبي وجدي وجد جدي، ولن أفرط بها حتى تصل لأحفادي وهذه وصية أبي ورأي أُمي.

- عبد البصير أنت شاب والحياة أمامك طويلة أنت تعلمت القراءة والكتابة، وتعلمت اللغة الإنجليزية بسهولة من الاختلاط بالإنجليز والزوار.

خذ بنصيحتي، وخذ المال وقم بالسفر إلى القاهرة ستجد هناك فرصًا كثيرة، والمال الذي معك سيحقق لك ما يجب أن تكون فيه.

يبدو أن هذا الكلام قد أزعج عبد البصير الذي لا يريد ولا ينوي حتى التخلي عن أرضه والهروب من المشكلة، فرد عليه بصوت حازم وقوي:

- أتريد أن تطردني من بلدي يا عمدة؟ أنا لست جبانًا لأفعل هذا.

وفجأة تحول العمدة من ثعلب يمكر إلى أسد يزأر:

- اسمعني جيدًا لن أطيل معك الحديث، هذه الأرض ستصبح ملكي بالأدب، ستصبح ملكي بالاستبداد، ستصبح ملكي بأي شكل.

أعطيك فرصة أخيرة لتبيعها بكرامتك وليس رغبًا عنك.

فيرد عبد البصير على هذا الكلام ويكاد يتمالك نفسه ويسيطر على يده حتى  
لا تضرب كيس اللحم هذا بابتسامة باردة

- شرفت يا عمدة...!!

رحل العمدة ووجهه يمتلئ بآيات الغضب والوعيد، وذهب إلى عربته ليرفعه  
رجال، أما الجواد المسكين فكان يخشى من انقصام ظهره من تلك الحمولة من  
اللحم المترهل.

يرحل العمدة وكأنه فرعون مصري يتم حمله على المحفة بواسطة عشرات من  
الرجال الأشداء يفكر فيما سيفعله للانتقام من عبد البصير.

\*\*\*\*\*

في نفس المدينة وفي نفس القرية يوجد مبنى منخفض مكون من طابقين، مبنى فقير البنيان من الخارج تملؤه الشروخ، كان هذا قسم شرطة القرية، في داخله سجون قدرة لا تليق حتى بلص ملابس، وكان به مكتب للحظات تعتقد أنك دخلت غرفة في فندق (هيلتون) كان مكوناً من راديو ومقاعد فخمة وهاتف وبعض النجف الكريستال، لم يكن هذا سوى مكتب مأمور القسم.

- تحت أمر سيادتك وأرجو منك أن تشكر الباشا (الكبير) بالنيابة عني ويدخل العسكري باب الغرفة بسرعة وكان هناك من يطارده ويقول للمأمور بصوت يشبه صوت العبيد المرغمين على العمل:

- حضرة العمدة مخيمر في الخارج ويطلب إذنًا الدخول

- أدخله فوراً

يدخل العمدة إلى المكتب ويرحب هو بالمأمور بكل حرارة وشوق وليس العكس!! فيرد المأمور الترحيب ويأمر العسكري بالخروج وألا يدع أي أحد يدخل إليهم فيخرج العسكري ويغلق الباب وراءه تاركًا إياهما يخططان ويكيدان.

- ماذا هناك يا عمدة؟ أن زوجتي قد اتصلت بي منذ ساعة وأخبرتني بما أرسلته للبيت من فاكهة وخضراوات ولحوم، أن هذا لكثير يا عمدة.

- أن هذه هدية وكما يقولون \*الني قبل الهدية\*

- حسنًا، هدية مقبولة.

- هل الهانم زوجة سعادتك قد أعجبت بهذه الأشياء؟

يضحك المأمور:

-أجل يا عمدة، وتشكرك كثيرًا.

- لا شكر على واجب يا حضرة المأمور هذا من بعض ما عندكم.

- أخبرني ما هو الشيء الخطير الذي تريدني من

أجله، صحيح ماذا تريد أن تشرب.

- شكرًا لا أريد شيئًا، ولكن دعنا نكمل موضوعنا.

- أرجوك لا تخبرني، إنه موضوع أرض الولد عبد البصير
- وهل يوجد غيره يا جناب المأمور؟
- لقد مللت الحديث به، ألم أخبرك أن تضاعف له الثمن وسيوافق؟
- بلى، لقد فعلت هذا ولكنه عنيد مثل أبيه.
- لا تقلق يا عمدة، هذا الموضوع أصبح الآن بين يديّ وسوف أنهي الموضوع بطريقي الخاصة.
- إذا فعلت هذا حقًا يا جناب المأمور، أعدك أنني سأنفذ كل طلباتك، إنه ليس بموضوع الأرض أكثر من اشتياقي لرؤية عبد البصير مذلولًا أمامي.
- سأنهي لك ذلك الموضوع ومن ثم نتفق.
- أي شي تريده سأفعله، حتى أن كنت تريد مشاركتي الأرض ليس لدي مانع.
- إذن سأجعله يندم على اليوم الذي ولدته فيه أمه، دع فقط ما أهدف إليه يحدث أولًا وبعدها تنزعه من أفكارك إلى الأبد.

\*\*\*\*\*

.....

على بعد آلاف الكيلومترات من عبد البصير كان شكل العالم يتغير، إشارات تلوح في الأفق عن اقتراب حرب عالمية جديدة، لم ير العالم مثيلاً لها.

حيث أن الأزمات الاقتصادية في أوروبا منذ عام 1929 أدت لاستنفار الشعوب على الحكام، ووصل حكام وتيارات متطرفة للحكم من بينهم الفوهرر (أدولف هتلر) قائد عاصر الحرب العالمية الأولى، أدهى رجال عصره، وأكثرهم قسوة، الرجل الأبيض اللون ذو الشعر الأصفر المنخفض دائماً على جانبه، صاحب الشوارب المرسومة حدوده كحدود ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى.

كان هتلر يؤمن بأشياء عدة أهمها بأن اليهود هم سبب كل مشاكل ألمانيا، ويجب التخلص منهم، وأن ألمانيا يجب أن تسترد كرامتها المسلوقة في معاهدة فيرساي 1919 بعد استسلام ألمانيا، فقد تم تحديد عدد جيشها لمائة ألف جندي، وحرمت من جزء من أراضيها، على هتلر الآن تصليح الأمور عليه توفير (مساحة العيش) لكل مواطن ألماني، وعلماً أوروبا أن تخشاه وأن تطيع أوامره، وغير ذلك ستباد أوروبا بالكامل.

ضم هتلر النمسا والمجر لأنه أراد توحيد الدول الناطقة بالألمانية والحفاظ على نسل الجنس الآري الألماني، أرقى أنواع الجنس البشري كما يزعم، وقد تبقى لهتلر استرداد مضيق دانزغ البولندي، الأمر الذي سيؤدي لاشتعال النار التي لن تحمد.



اليوم هو الأول من سبتمبر عام 1939، أول قذيفة تم إطلاقها في الحرب على ميناء دانزغ، فقد استمرت المعارك داخل بولندا ويتقدم الجيش الألماني بسرعة لا مثيل لها، مستخدمين الطائرات والمدافع والدبابات في الوقت الذي خرج به فرسان بولندا على ظهور خيولهم، وكأنهم في حرب صليبية، أباد الألمان كل من وقف في طريقهم، في ذلك الوقت وتحرك الاتحاد السوفيتي مكملاً على ما بقي من بولندا من ناحية الشرق.

ماذا تفعل بولندا الآن؟ ألمانيا من الغرب والسوفيت من الشرق تجزأت بولندا لجزء ألماني وجزء سوفيتي، تقابل الجنود الألمان والجنود السوفيت مرحبين ببعضهم البعض، لم يتوقع هتلر تحرك بريطانيا أو فرنسا ولكن كانت المفاجأة. هبت بريطانيا وفرنسا لمساندة بولندا ضد هتلر الذي ظنوا به الضعف واستخفوا بقدراته.

في الساعة الخامسة والنصف صباحاً أعلنت بريطانيا الحرب على ألمانيا وفي الساعة الخامسة مساءً من نفس اليوم الثالث من سبتمبر أعلنت فرنسا الحرب، وبالتأكيد ستساندهما اليونان وبلجيكا وهولندا وغيرهم. لم يعد الموضوع هوأ أو توسعاً ألمانياً، لقد باتت حرباً أوروبية على القارة البيضاء.

الآن ذبح أبناءها بعضهم، وزينوها باللون الأحمر، ولكن كان هتلر قد عزم أمره  
فيما سيفعله، سيوجه كل قدراته الآن نحو الغرب، سيقوم باحتلال فرنسا.

.....

.....

\*\*\*\*\*

نوفمبر 1939 المملكة العربية المصرية

أعزائونا المستمعون!

إليكُم هذا النبأ الهام..

نظرا لما يشهده العالم من حرب، نهب بكم إغلاق الأضواء والمصابيح عند  
سماع صوت الغارة حتى لا تتعرض منازلكم للقصف الجوي من الطيران الألماني.  
لقد كان هذا بيان يذاع عبر الإذاعة المصرية، حيث يتم فيه تنبيه المواطنين من  
أخطار الغارة (كأن أن أحدا لا يعلم).

وأكمل المذيع: يحتفل اليوم ملكنا المعظم فاروق الأول ملك مصر والسودان  
مع عدد من البشوات والبطوات بعيد ميلاد كريمته الأُميد

- أغلقي هذا الصداق يا زينب

- حاضر يا أُمي.

أغلقت زينب المذيع وتطلعت بعينيها الصغيرتين تنتظر عودة أخيها عبد  
البصير من الأرض حتى..

حتى لاح خياله في الأفق.

- لقد عاد عبد البصير يا أُمي.

- هيا إذن لنجهز الطعام.

- أُمي، أين أنتِ؟

- اجلس على المنضدة يا عبد البصير، سوف آتيك بالطعام حالا.

الحاجة فاطمة صاحبة الخمسين عامًا قد تبدو لك من الخارج بجسدها الهزيل  
وتجاعيد وجهها ضعيفة، ولكنها كانت تملك قلبًا وعزيمة أقوى من الجبال  
الكثيرة المحيطة بالأقصر من كل جانب، فرغت الآن من الطعام والتفت الأسرة  
الصغيرة حول المنضدة.

- العمدة قابلي بالأمس أيضًا

- موضوع الأرض ثانية، هذا الرجل لا يمل؟

- لا تتدخل يا زينب، وبماذا عرض أو هدد هذه المرة يا بني؟

- قال بأن تلك آخر فرصة لدي، ورفع الثمن إلى عشرة آلاف جنيه، وإن لم  
أقبل فلا ألوم إلا نفسي.

- لا تضعف يا بني

- لا تقلقي يا أمي، فإن قبره أقرب إليه من هذه الأرض.

- أحسنت يا بني، ولكن هل كل الحب ذلك للأرض أم لشيء آخر؟

- شيء مثل ماذا؟

- سعاد مثلاً

ساد جو من التوتر أرجاء البيت عدا زينب التي شغلها الطعام عن الحديث.

- لماذا هذا الكلام الآن يا أمي؟

- بني، أريد أن أراك عريسًا، أريدك أن تنساها وأن ترى فتاة أخرى تتزوجها، أريد أن أرى أبنائك قبل موتي.

- أطل الله عمرك يا أمي.

بينما هذا الحديث مستمر شق هدوء القرية صوت غارة قادمة، انقلب الناس على وجوههم يسرعون لإغلاق المصابيح والشموع في ثوان معدودة. تحولت القرية في هذه اللحظة إلى مدينة اشباح، قام عبد البصير بإطفاء الأنوار وجلست الأسرة في صمت العيون متعلقة بالسقف.

القلوب مضطربة تكاد تنخلع من بين ضلوعهم، مرت ثوانٍ وكأنها سنوات، فلو أضاء أحد عود كبريت واحد هذا كفيل بتحويل القرية إلى أنقاض، صوت الطائرات كان كصوت ذئب يعوي، زاد التوتر والخوف، كان الأهل حتى يخشون من بكاء طفل صغير حتى لا تسمعهم الطائرات ذات الأجنحة المسلوخة فتعاقب الطفل بالنسف، استمر الصمت لدقائق حتى لم يعد هناك أي صوت سوى صوت ضربات قلب أهل القرية الذي كان من السهل سماعه بوضوح، تأكد الجميع من انتهاء الغارة فعادت الحياة كالسابق اشعلت الأنوار مرة أخرى، وعاد الأمان.

- عافانا الله من تلك الحرب.

- أخشى يا أمي أن الاسوأ لم يأت بعد.

- كل مشاكلنا ستنتهي إذا رحلت برطنيا.

- المشكلة أكبر من الإنجليز، بل الملك وحاشيته، وماذا تقولين أيتها البلهاء  
زينب اسمها بريطانيا وليس برطنيا.

وبينما العائلة تتجاذب أطراف الحديث حدث ما لا يتوقع وبدون سابق إنذار  
عربات الشرطة تحاصر بيت عبد البصير، المأمور بنفسه تواضع وخرج من  
مكتبه لإحضار عبد البصير لسبب لا يعلمه سوى الله، أهل القرية لا يصدقون  
ما يحدث من كل أشقياء القرية لا يتحركون سوى لعبد البصير الذي تزن  
أخلاقه معبد الكرنك ولم يسمعوا عنه شيئاً مكروهاً.

أمر المأمور العسكر بالقبض على عبد البصير الذي خرج لهم بدهشة هو وعائلته  
التي سرعان ما تحولت لبكاء من زينب وتماسك من الحاجة حتى عبد البصير لم  
يكذ يقل شيئاً فسرعان ما أودعه العسكر في العربة وتحركوا به.

تغير حال الاسرة بشكل كامل الحاجة فاطمة أخذت تتردد بين بيت العمدة  
الذي لا يستجيب لها وبين قسم الشرطة الذي يتعامل فيه الأشخاص على  
أنهم من (بنها) لا أحديطمئن قلبها عما حدث لابنها.

في الوقت ذاته كان عبد البصير في غرفة تحت أرض القسم يتعامل معاملة أسير ليبي في جيش عمر المختار من الطليان حيث تعرض لكل أنواع التعذيب من الماء للنار للصعق الكهربائي، في الوقت الذي لم يستخدموا الكهرباء في الإنارة والصناعة، استخدموها في التعذيب.

مرت ثلاثة أيام في هذا العذاب المحدث، وكما هو الحال في كل أنظمة الحكم الرقيقة الوديعه، فالسجين لا يعرف لماذا يتعذب والسجان لا يعرف لماذا يُعذب، وأخيراً قرر المأمور وقف فترة التعذيب.

ذهب في ذلك اليوم لعبد البصير وأمر بإحضاره إلى مكتبه

- سيدي المتهم بالخارج.

- أدخله وأغلق الباب.

يدخل عبد البصير يرسف في قيوده غير قادر على الحركة، يبدو أن العسكر قد بالغوا بالترحيب به.

يقف عبد البصير أمام المأمور، الذي وضع قدمًا على أخرى بوضعية إمبراطور روماني، وخلف عبد البصير يقف أحد العساكر الذي يبدو عليها أنه من فصيلة يأجوج ، ولكن لم يحضر أحدهم فصيلة مأجوج معه.

- اسمك وسنك وعنوانك.



- عبد البصير السيد إمام، 21 سنة، وأسكن في بيت والدي الحاج سيد إمام  
القرنة بمدينة الاقصر.

- أنت موجه لك اتهام في قضية سرقة.

- سرقة؟ من؟ واين؟ أنا لم أسرق أحداً أقسم لك بذلك.

بيد تشبه الجاروف هوى العسكري على ظهر عبد البصير محدثاً صوت رقع  
تسعة طبول في وقت واحد.

- في يوم الثلاثاء الموافق العاشر من نوفمبر قام المدعو عبد البصير السيد إمام  
باقتحام منزل العمدة مخيمر أبو الفضل وقام بسرقة مصوغات ذهبية يقدر ثمنها  
بما يقارب سبعمائة وخمسين جنيهاً من عقود، وأساور ذهبية ولاذ بالفرار، ولكن  
مع سؤال شهود العيان أقرّوا بأنه السارق، وشهادة بعس عمال أرضه بأنه لم  
يكن في الأرض لحظة وقوع الجريمة التي حدثت في تمام الساعة الرابعة عصراً،  
ومع استجواب المتهم أقر لنا بفعلته واعترف بتفاصيل الجريمة وأقر بأنه كان  
بدافع الانتقام من العمدة.. وأغلق المحضر في ساعته وتاريخه.

- لكن أنا لم أسرق شيئاً ولم أعترف!

- لا أنت اعترفت وان لم تكن تصدق سأثبت لك.. أدخل الشاهد أيها

العسكري

يدخل هذا الشاهد وفجأة تظهر على وجه عبد البصير نظرة تكاد تقتلع عينه من هول المفاجأة.

– من الذي سرق العمدة يا عبد البر؟

نعم إنه عبد البر مساعد عبد البصير، وصديق قديم، شاب أسمر هزيل، وجهه يحمل كل علامات التقشف الاقتصادي، وكان يُعرف بين أهل القرية بحبه الشديد للمال، وكان أهل القرية يقولون عليه أنه مستعد لبيع نفسه مقابل حفنة بسيطة من القروش أو (الماليم).

فيرد عبد البر على المأمور بكل ثقة وكأنه متيقن أن عبد البصير هو السارق:

– إنه عبد البصير يا سيادة المأمور.

– إذن أخبر عبد البصير فإنه لا يصدق.

لدقائق تبادل الاثنان النظرات، نظرة عبد البصير غير المصدقة ونظرات عبد البر الممزوجة بالشماتة الذي قدم صديقه كقربان للعمدة والذي

أعطاه العمدة وعد بلفور للحصول على المال والعمل.

– يمكنك الانصراف يا عبد البر.

كان تأثير خيانة عبد البر لعبد البصير أكبر من تأثير ثلاثة أيام من التعذيب المتواصل بدون فواصل، كان بمثابة طعنة في الظهر وبصوت متهدج:

- كذب يا سيدي.. أقسم لك

فيرد المأمور بصوت ساخر:

- أعلم يا عبد البصير، وأعلم أنك ولد صالح ولا تفعل ذلك.

- إذن أنت تصدقني!!

- أصدقك ولكن ماذا أفعل؟ كل الشهود والأدلة ضدك، العمدة استخدم ماله وسلطته ضدك أيها المسكين قليل الحيلة.

- أرجوك، فلتساعدني إذن.

- أتمنى ذلك ولكن لست أنا من بإمكانه مساعدتك.

- من إذن؟!

- ليس شخص بل إنه شيء أكبر من ذلك، ولكنك لا تريد أن تعرفه يجب عليك فقط أن تنفذ كل الأوامر المطلوبة منك بدون تردد، وإلا ستشرفنا هنا فترة لا بأس بها.

- سأفعل كل ما يطلب مني، أريد فقط أن أخرج من هنا أرجوك أنا لدي عائلة  
لا يجب أن أتركهم بمفردهم أمام العمدة.

- اتفقنا إذن، ولكن أولاً ستبقى معنا يومين حتى أخبرك بما يتوجب عليك فعله  
ولا تقلق سنحسن معاملتك تلك الفترة.

\*\*\*\*\*

أثناء ما كان عبد البصير في محبسه يفكر فيما سيحدث له وما هي المهمة التي  
سيكلفه بها المأمور، وكيف ستساعده على الخروج من ورطته، كانت الحرب  
تأخذ شكلاً آخر، كانت الحرب في جميع المجالات العسكرية والسياسية  
والاقتصادية والعلمية حتى الفنية والاستخباراتية، فمن يعمل سينتصر ومن ينتج  
سينتصر.

أخذ الاتحاد السوفيتي حليف اليوم وعدو الغد في دعم هتلر، أمده بالقمح  
والسلاح والحديد، اليوم ترسانات موسكو تعمل من أجل هتلر، اتخذت الحرب  
شكلاً جديداً فلقد أقحم هتلر المدنيين في حرب إبادة.

حيث قام طيران ألمانيا بقصف المدن والموانئ والقرى والبيوت والمدارس  
والمستشفيات، اشتعلت النيران في مدن بأأكملها.

هاجم مدينة (وارسو) في العشرين من سبتمبر، الحرب تأخذ شكلاً وحشياً في  
إشارة أنه لن يسلم أحد، صرخات الاطفال تعلو وازداد نحيب النساء ودع  
الرجال عائلاتهم في محطات القطار.

مات المئات وتم تشريد الآلاف لم يكن ينقص الجيش الألماني سوى ارتداء  
خوذات بقرون ليعيدوا سيرة التتار أساتذتهم العظام.

في الوقت ذاته تولى شيطان بشري منصب رئيس وزراء بريطانيا (تشرشل) رجل  
ذكي لا يقل شراً ولا وحشية عن هتلر.

في الوقت ذاته كان عبد البصير وزملاؤه يعانون من الجحيم الذي هبط على  
الأرض من أجل تعذيب عبد البصير، وتحولت جزيرة (جيرسي) أمامهم إلى قدر  
لا مفر منه سوى الموت ولكن!

ولكن عبد البصير مازال في محبسه!!

غرفة معتمة لا يوجد بها نافذة، لا يصلها ضوء، سوى بصيص من بين قضبان  
السجن، لا تستطيع فيها تحديد زمن أو ساعة أو حتى هل أنت في الليل أم  
النهار؟

- هيا يا عبد البصير، الباشا في انتظارك.

يعود عبد البصير للمأمور، الرجل ذو الوجه العابس، صاحب الشارب المجزوز  
بآلة جز عشب قديمة، يمتلك رأسًا تشبه الماس إذا سقط عليها الضوء اشعت،

بل وتعكس الضوء أمامها، فهو أصلع لكنه يخفيها بطاقيته العسكرية ولكنه كان يمتلك هبة دوق إنجليزي.

- المتهم بالخارج يا سيدي.

- أدخله ولا تدع أحدًا يدخل معه، أريده بمفرده وأحضر لي فنجانًا من القهوة السادة.

- أمرك يا سيدي

- كيف حالك الآن يا عبد البصير؟

- بخير يا سيدي، أعتقد أن جروحي التأمت قليلًا.

- لا لا، ستصبح أفضل وحتى لا أعطلك سأدخل في صلب الموضوع مباشرة.

- أرجوك يا سيدي.

- أتعلم ما هو مصدر المال وسلطة العمدة؟

لقد كان العمدة أحد الغوغاء الذين لا قيمة لهم، ولكنه كان ذكيًا عرف طريق الوصول وأصبح من السادة.

- لماذا تقول لي هذا الكلام يا حضرة المأمور؟

- لأن من ساعدوا العمدة لا يرغبون في بقاءه كثيراً، لقد ملوا منه يريدون الآن وجوهاً شابة تحل محله، وأنا قد رشحتك أنت لهم.

- من هم؟

- الإنجليز

لنقل أن وقوع برق من السماء كان أهون من تلك الجملة.

- خدمة صغيرة ستقوم بها من أجلهم، وفي مقابل ذلك سيمنحونك المال والسلطة، لتنتهي بها على العمدة وتتوج على عرش القرية بديلاً عنه.

- أتريدني أن أعمل لحساب أعداء وطني؟ الذين ينهبون خير البلاد ويسيطرون عليها ويجرون العالم لحرب مهلكة!

- وطنك يدعمهم ويؤيدهم بل ويطّبع معهم، ما المشكلة؟

- سيدي قل حكامك يدعمونهم وليس وطنك!

- عزيزي دعني أحكِ لك قصة صغيرة، فأنت لا تفهم شيئاً بعد في السياسة كان هناك راقصة تعمل في الأفراح باجتهاد حتى ادخرت وجمعت ما لا كثيراً يكفي لفتح \*بار\* أو خمارة كما يقولها المصريون.

المهم جهزت البار، وبدأت العمل به لم يكن هناك مشاكل سوى الجمهور العظيم صاحب الأيدي الخبيثة والنظرات الثاقبة لم تسلم منها.



أخذت تبحث عن حل، قررت الاستعانة بشخص يحرسها وظيفته أنه بلطجي،  
وفعلا انتظم الوضع وصارت الأمور جيدة ولكن بعد فترة بدا هذا الشخص  
بالسرقة والنهب بفترة وجيزة، علمت الراقصة ولكن ماذا تفعل؟ تطرده وتعود  
ومرة أخرى لتطاول الزبائن؟

فكرت في جلب بلطجي آخر ولكن عندما واجهته وطردته هددتها بأنه سيزين  
وجهها بماء ورد جميل يكفي لتحويل وجهها لخريطة كوكب الأرض قبل سبعة  
عشر مليون سنة!

فما كان من الراقصة سوى الانصياع لرغباته حيث تركته يسرق  
وينصب. أصبحت تدير وجهها من أجل أن تسير الحياة، فهي لن تخسر كثيراً  
وهو لن يتوقف عن جشعه!

يبدو أنك لم تستوعب جيداً يا عبد البصير لكن لا تقلق لا أريد منك أن تفجر  
نفسك من أجلهم هي مهمة بسيطة واحدة ستفعلها وسينسونك بعدها تماماً  
طبعاً بعد أن يكافئوك.

وإذا أردت الاستمرار معهم فهم سيرحبون بك، أأأأ تعرف قيادة السيارات؟  
- بلى يا سيدي.

- إذن بإمكانك الرحيل الآن وبعد أسبوع تأقي إليّ.

## لتبدأ مهمتك الوحيدة

\*\*\*\*\*

خيم الحزن وغلب أجواء البيت، لم يخلو المنزل من زيارات الأقارب والجيران الذين جاءوا ليطمئنوا على عبد البصير.

فور عودته أخبر الجميع بأنهم احتجزوه لتأدية الخدمة العسكرية ولكن بعد معرفة حالته الاجتماعية حصل على إعفاء.

وصدقه الجميع بطيبة قلب أو رغبة في التصديق، فحتى لو كان ذلك حدث بلا أسباب فلن يستطيعوا فعل شيء للمأمور، والعمدة عدا الحاجة فاطمة التي لم

تنطلي عليها أكاذيب عبد البصير خاصة بعد ما لاحظت الجروح التي في جسده ووجهه الذي نحل وكلما واجهته تهرب منها.

ظل عبد البصير شاردًا طوال تلك الفترة فيما سيفعله، فيما سيحدث له هل سيخون وطنه بتلك السهولة؟

لا وجود لشئ اسمه خيانة كبيرة وخيانة صغيرة، الشر والخير لا يتجزآن، ولماذا يسألني عن القيادة وطريق الاسكندرية كيف علم كل تلك الأشياء راسي لم تعد تتحمل الكثير من الأسئلة.

سيجن جنوني قريبًا ماذا افعل؟؟

نعم أحضر المذياع قليلًا حتى أنسى ما أنا به، لا سأنظر إلى السماء سأحاول أن أشق السماء بنظري بل سأشقها بدعائي، سأرفع يديّ إلى الله أن ينجيني مما أنا به، سأحاول النوم حتى النوم يهرب مني ولكن يجب أن أنام فإذا كان هناك كلام عن الاسكندرية فهذا معناه بأنني ساقطع حوالي 1000 كيلو متر.

في تمام الساعة صباحا كما هو الميعاد المتفق عليه بين عبد البصير والمأمور حاول التسلل للخروج لا يريد أن يرفع عينه بعين والدته أو أحدهم أهل قريته

يشعر بأنه يخرج سكينه ويطعنهم جميعاً في ظهورهم مرة واحدة ذهب لباب  
المنزل وفتحه ولكن

- أين تذهب يا بني؟

- أمي!! ألم تنمي بعد؟

- لقد صليت الفجر وظللت مستيقظة

- لم؟

- كنت أدعو الله أن يخرجك مما أنت به.

أتعتقد أنني لا أشعر بك؟ لقد صدقك الناس في أعذارك الفارغة، أنا لم أصدق  
ولم أשא أن أسالك أمامهم هناك سر تكتمه في صدرك أي بني؟

- لا يوجد يا أمي صدقيني فقط الاجهاد وقلة النوم

- لن أضغط عليك بني اذهب لما أنت مقبل عليه، سأنتظرك ولكن كن حذراً  
حفظك الله.

لم يعلق عبد البصير بكلمة اكتفى بالخروج ولكن كان مندهشاً من حديث  
والدته الغريب كأنها تعلم أين سيذهب وماذا سيفعل ولكن شغله أكثر ما هو  
مقبل عليه.

المأمور يقف عند أطراف القرية قرب الجبل، بجانبه شاحنة عسكرية وضع عليها علم بريطانيا العظمى، بجانبه جنديان إنجليزيان بزيهما وسلاحهما. أصفرا اللون نحيفان يافعا الطول، ظهرت عليهما كل علامات الملل من تلك البلدة التي تركا من أجلها بلادهما وصديقتاهما، يصل عبد البصير متشتتاً يخاف أن يراه أحد.

- هل أنت جاهز يا عبد البصير؟

- نعم يا حضرة المأمور

- كما أفهمتكَ، عليك إيصال هذه العروسة وأقربائها إلى زوجها في ميناء  
الاسكندرية

- علم وينفذ، ولكن هل ستتركوني بعدها؟

- أعدك بذلك ولكنها فرصة عظيمة لك

- لا أريدها ساذهب الآن

- عبد البصير لا داعي لأحذرك اذا حاولت التلاعب أو الهرب فصدقي حتى  
جثتك لن نستطيع العثور عليها وتذكر هذا دائما هذه بلدهم وليست بلدك

- أعرف هذا جيداً ولكن قبل أن أرحل لدي سؤال واحد لك يا سيدي

- تفضل يا عبد البصير

- هل أنت سعيد بما تفعله في بلدك؟؟ أقصد بلدهم

- "أنا سعيد إذا كان قادتي سعداء"

- أدامكم الله ذخراً لنا وللوطن (أخذكم الله) في قمتة

كانت الرحلة سريعة استقل عبد البصير الحافلة والجنديان بالخلف يأكلان  
ويشربان ويمرحان ولكن لا يغفلان وكأتهما زوج من الخنازير التي لا تفعل شيء  
سوى الأكل والشرب.

كانت الحافلة دسمة حقًا فقد امتلأت بعدد كبير من السلاح والذخيرة والقنابل وبعض المؤن والطعام، فكر عبد البصير ألف مرة أن يلقي السيارة وهو فيها في النيل أو أن يصطدم في شجرة ولكن لن يموت كافرًا من أجلهم. سرعان ما لاحظت في الأفق بمبانيها الفخمة وهوائها المنعش، نعم إنها مدينة الاسكندر الأكبر وأبنائه.

تستطيع تمييزها بسرعة فائقة، لم يكن عبد البصير قد زارها منذ سبع أعوام مع أبيه الذي حاول إنسابه إلى المدرسة البحرية ولكنه حصل على أعلى وسام للشعب المصري (الاستمارة 6)، ولكنهم ذهبوا للشاطئ ومرح عبد البصير وأبيه وتعلم السباحة في زمن قياسي كأنه صغير دولفين ولكنها مجرد ذكريات. وصلوا للميناء وبالتأكيد وجود شارة بريطانية هي مفتاح لكل الأبواب المغلقة حتى ولو كان باب قصر الملك أو حتى غرفة نومه بل ويتم تقديم التحية كبطل فاتح، سرعان ما وصل عبد البصير للقطعة البحرية البريطانية (إليزابيث 32) عملاق بحري يستحق أن يتل سرورك أمامه ولكن عبد البصير سرعان ما أفرغ حمولة سيارته الثقيلة مع العمال وودع الجنود وهم بالرحيل.

- سأعود أنا للأقصر هل تريدون مني شيئًا آخر؟

- إلى أين أنت ذاهب!

إن اسمك مدرج معنا في قوائم خدمة المجهود الحربي البريطاني

- ماذا!!

\*\*\*\*\*

لم يكن عبد البصير قد أفاق من غفوته، أحقًا ما سمعه أم أن عناء السفر جعله يتوهم؟

- أخبرك بأن اسمك مدون لدينا سوف تستكمل السفر مع الحافلة إلى مثواها الأخير

- هل جننت؟ لقد أخبرني المأمور بأنني سأنقلكم فقط إلى الاسكندرية ثم أعود أدراجي.

- أيها الأحق مأمورك هو من أعطانا اسمك وجلبك إلى هنا، والآن بما أن تصعد إلى السفينة بإرادتك أو سيكون لنا تصرف آخر.



- لا لا، أنتم كذوبون، أرجوكم لدي عائلة وأسرة لا أستطيع تركهم، أخرجوني من هنا

يبدو أن مزاج الإنجليز كان غير صاف، فلم يناقشوا كثيرًا الأمر الذي جعلهم يجرّونه إلى داخل السفينة ومن ثم إلى مؤخرتها حيث يجلس زملاؤه في رحلة الاستجمام تلك.

تحول عبد البصير لطفل صغير حاول الصراخ والهروب وكأنه طفل صغير ضاع من أمه، تجذبه أم رجل مسلوخة لتعد منه وجبة دسمة، ولكنه كبر بسرعة من طفل لمراهق حيث أخذ في المقاومة وضرب الجنود الذين أمامه، ولكن ماذا يفعل هو بيده أمام جنود مسلحين لم ولن يدخروا جهدًا في تأديب هذا الشاب العاصي بأيديهم أو بأرجلهم أو حتى بأسلحتهم.

- اتركوه لعنكم الله سيموت بين أيديكم

- فلتتركه لي أيها الجندي سوف أتولى أنا أمره ولن أجعله يفكر في الهرب من هنا مرة أخرى.

ولكن أثناء تلك المحاولات لم يدخر أحدهم الجنود جهدًا ليضرب عبد البصير بمؤخرة بندقيته على ظهره، فجأة تحولت الحياة أمام عبد البصير إلى ألوان. أخضر، ثم أزرق، ثم أحمر، ثم إلى الأسود وسرعان ما غاص في سبات عميق.

بدا كل شيء جاهزاً، امتلأت معدة الصغيرة إيزابيث 34 بسلاح ووقود وخيرات الشعب المصري، بل وأبناء الشعب المصري، وغيرها من الأشياء هي الآن جاهزة لتسبح في المتوسط إلى المكان الذي يجب أن تذهب إليه، ولا أحديعلمه سوى القليل.

عليها أن تلتزم السرية حتى لا تكون تلك النعجة السمينة صيداً سهلاً لذئاب هتلر الجائعة، أطلقت صافرة الوداع التي هز صوتها أرجاء المدينة، ركب الجنود، رفعت المراسي، وأخذت طريقها.

- هل استفاق يا شيخ؟

- سيفيق الآن مجرد كدمة بسيطة

- أعتقد أنه يفتح عينيه.

- انتظر.. بني هل تراني؟ كم هذا الرقم؟

- ثلاثا.. ثلاثا.. ثلاثة

- حمداً لله على سلامتك

بصعوبة يفيق عبد البصير ويفتح عينيه علما لشخصين الغريبيين، شعر أنه قد سمع  
صوتهما قبل الآن ولكن عقله مشوش في تلك اللحظة.

- أمازلنا على السفينة في الاسكندرية؟

- نعم! مازلنا على السفينة ولكن لسنا في الاسكندرية

- لقد عبرنا جزر إيطاليا منذ يوم يا رجل!

- ماذا! خرجنا من مصر؟ إن أهلي الآن بمفردهم وأنا ذاهب إلى شيء مجهول لا  
يعلمه إلا الله، ارحمني يا الله وألهمني ماذا أفعل؟

- إهدأ إهدأ يا بني، هذا قدر الله وهذه مشيئته ماذا ستفعل؟

- دعه يا شيخ الآن يفيق من صدمته ثم نعود إليه وقت آخر، لا تخف لن يؤدي  
نفسه.

رحلا بالفعل ولكن هل عبد البصير لن يؤدي نفسه فعلاً؟

\*\*\*\*\*

مكان غريب مجهول، قاعة كبيرة في سفينة حربية، ولكن ليست كأية قاعة مكان  
كبير واسع قدر ومريع الشكل، تآكل حديدته من الصدأ، يضيف للمشهد  
شعورًا بالنفور والكآبة، في آخره سلم حديدي يؤدي لباب مغلق، يقف خلفه  
عشرات الجنود المسلحين.

أما من كانوا بالداخل فكانوا مجموعة من مئات الأشخاص، ولكنهم ليسوا من  
جنسيات واحدة بهم عمامات هندية، وبشرات إفريقية، ولهجات سودانية،  
وعيون مصرية تلحلق أينما تذهب، كان من بينهم وجهان مألوفان لديه ولكنه  
لم يرغب في الاحتكاك بأحد في الوقت الحالي حتى يهدأ ويستوعب ما هو فيه.  
لم يكن هناك مصابيح فقط بل يوجد أيضًا نوافذ دائرية مغطاة بالزجاج من كل  
جانب تقوم بإدخال بصيص من ضوء القمر الخافت، يشكو به حزنه في محبسه  
في الفضاء المظلم وحيدًا.

استمر عبد البصير أيامًا يتعلق بنظره للفتحات لا يفعل شيئًا سوى أن يلعن العمدة والمأمور في كل يوم ويلعن أيضًا غباءه الشديد الذي أوصله إلى هنا.

بعد فترة سمح لهم الجنود بالخروج لسطح السفينة ولم يكن ذلك شفقة ورحمة، بل ليقوموا بمساعدتهم في الأعمال والتنظيف والطبخ ولكن لا بأس بذلك فقد كان الطعام اليومي يكفي لجعلك تخسر حوالي مئتي كيلو جرام أسبوعيًا، فبعض الخبز والماء قد يقيقك على قيد الحياة في أحد الأيام.

انتهى عبد البصير من بعض الأعمال ومن ثم وقف أمام البحر يشكو همومه له حتى عاجله نفس الشخصين من ظهره مرة أخرى.

- أدعو الله أن تكون أفضل حالًا الآن.

- لقد قللنا عليك ومن وحدتك ولكن تركناك على راحتك.

- أشكركما على ما فعلتماه من أجلي ولم يسعني شكركم ذلك اليوم.

- انس ما حدث يا بني، لن تغير شيئًا أمر به الله، عرفنا بنفسك.

- ونعم بالله.. أنا عبد البصير السيد إمام من الأقصر 21 عامًا.

- معك أبو الحسن مسعود مهندس زراعي، ومعلم بالأزهر من مدينة ميت غمر  
38 عامًا.

الشيخ أبو الحسن أو كما هو لقبه رجل وقور به كل علامات السماحة تلك  
الذقن السوداء التي تخللها بعض الشعيرات البيضاء خلصة، ممتلئ نوعاً ما،  
أبيض اللون تشعر بأن النور يشع منه.

- وأنا عباس درويش، صياد من الاسكندرية وعمري 25 عامًا.

أما عباس فهو يعتبر نقيض الشيخ أبيالحسن، فقد كان كارثة بكل المقاييس هو  
شاب يحظى بخفة دم أهل إسكندرية، لا يقف ثابتاً أبداً، لا بد أن يحرك جسده  
أثناء الحديث، خمري اللون، نحيف جداً، شعره طويل، وعلى عكس الشيخ  
يبدو أنه لا يعرف شكل المسجد من الداخل.

ولكن كيف لهاتين الشخصيتين أن تنشأ بينهما علاقة صداقة، أو حتى زمالة  
باختلاف كبير، ولكنه عندما يكون الإنسان في أزمة لا يعرف ماذا يفعل يبدو  
أنهم يعانون مثلي.

أخذنا نتقلب في المواضيع والأحاديث كأمواج البحر، ثم أشاء أن أسألهم عن  
الشيء الذي لم يريدوا أن يسألاني عنه.

توطدت العلاقة بيننا، صرنا إخوة، فلم يبقَ لنا الآن سوى بعضنا البعض،  
نتبادل الأحاديث حتى يمر الوقت وننسى ما نحن به .

- أتعرف يا شيخ أنت وعبد البصير أنا متفائل جداً.

– لماذا ؟

– أولاً لأننا غادرنا تلك البلد التي لا فائدة منها، فالشعب يعمل والمملك يحصد وحده، ولكننا سنسافر إلى أوروبا حيث سنعمل في المصانع أو الحقوق ، وتأخذ مالا كثيراً ونرى الفتيات الأوروبيات، لم ترهم أنت يا شيخنا، تظنهن حورعين في بعثة على الأرض .

– بدلاً من أن تفكر في النساء فكر في الله حتى يخرجنا مما نحن فيه .

– ولكن لدى سؤال، ما كل هؤلاء البشر الذين تجمعوا معنا؟  
أرى أنهم ليسوا من بلد واحد .

–أجل يا بني إنهم من كل مستعمرات بريطانيا، من مصر والسودان والهند والصين، إلى آخر مستعمرات تجمعنا جميعاً كاخراف لنكون عبيداً لهم. الجميع هنا يعيش على أمل عباس الأحق يظنون أنهم سيذهبون إلى هناك للعمل في مزارع الفاكهة أو مصانع المعدات، مكان الإنجليز الذين يحاربون ولكن أخشى من أن هذا لن يحدث .

سرت رعشة هزت جسد الاثنين مرددين : ولماذا ؟

لم يرد الشيخ زياد قلقهم أكثر من ذلك، لم يرد مصارحتهم بما يجول في خاطره، إلا أنه أخبرهم بأنه يهذى من التعب ويريد الراحة قليلاً.

نام الشيخ ونام عباس، بينما ظل عبد البصير يفكر ويتأمل في الوجوه التي أمامه  
دمت في عيونهم كل ما يشعر به من وهن وخوف وقلق من مصير مجهول  
الملاح.

بالتأكيد جميعهم لديهم عائلات وأهل منهم من يعلم مكانهم ومنهم كعبد  
البصير لا تعرف عائلته ما حدث له حقًا، ولكن خاطب عبد البصير نفسه بأنه  
إذا استمر في هيجانه فسيؤذى نفسه وكان عليه أن يُبقى على حياته وأن يعود  
سالمًا ليس لنفسه ولكن ليحمي أهله وينتقم، نعم سينتقم من العمدة والمأمور،  
وتأكد بأنه لو بقى له عمر فلن يبقى على عمر العمدة والمأمور.

تمنى لو يختفى كل الناس من على السفينة عدا أصدقائه ويبحر بها في النيل  
حتى قريبته ويسدد مدافعها القوية تجاه بيت العمدة وقسم المأمور حتى لا يُبقى  
جدارًا قائمًا ولكنها لم تكن سوى أحلام .

استمرت رحله السفينة حتى لاحت أمامها فرنسا، يبدو أنهم اقتربوا.

علم البعض بأن السفينة لها هدف، إما حصن أبانجيل المنيع ببلجيكا وإما مدينة  
النور باريس، الهدف يقترب ولكن لم يتوقعمنعلى السفينة أن يكونوا هم هدف  
لعدو آخر .



مازالت السفينة تبهر ومازال الأسرى يعملون، ومازال الجنود يمحون ومازال  
عبد البصير غارقاً في عالمه الخاص.

مازال كل شيء كما هو، والحياة على السفينة تسير طبيعية حتى جاء صوت  
شق صمت السماء، صوت مفاجيء كصوت رعد في يوم صيف! سريعاً ما  
ارتفع، نظر الجميع للسماء البعيدة ليجدوا ذئباً تعوى نحو قطيعهم ولم تكن أى  
ذئاب كانت من فصيلة (استوكا) فخر الطيران الألماني.

ماذا؟!!

ألماني يعنى المحور!

يعنى هتلر! وهي تساوى أعداء!!

ما إن أدرك الجميع هذا حتى دبت حركة لا مثيل لها على ظهر السفينة، بدأ  
الجنود يجرون ويصعدون السلالم، اتخذ الجميع مواقعهم بدأت البزايون بإرسال  
التحية للطائرات، بدأت المدافع الضخمة تضرب لهم الإذن وأمسك كل جندي  
برشاشه ومدافعه وبدأ التصويب تجاه الطائرات أجبر البعض على الاختباء  
وأجبر البعض على المقاومة .

ولكن عبد البصير ورفاقه أدركوا النهاية السريعة.

أسرعوا لظهر السفينة حيث قوارب النجاة، بدأوا في قطع حبال أحدها

بسكين يستخدمونه في الطبخ، كانت استوكا اقتربت بالشكل الكافي ( ربي ) ما هذا سرب طائرات يقدر بـ 7 طائرات شكلهم مخيف يشبهون عربات تطير على ارتفاع قريب!

استمرت المدافع والمقاومة، شعر الجنود بأنها طير أبابيل وأن الفيل البحري الذي يقلهم سوف يُسحق، وسرعان ما بدأ الطيران بإنزال أحجار جهنم، قذائف تزن الطن من المتفجرات، فتحت أبواب الطائرات بدأت في إلقاء هدايا ( سانتا كلوز ) لكن بدون ظباء طائرة.

لم تصب في البداية ولكن صوتها المخيف وسقوطها في الماء مسبباً انفجارات مائية تشبه لحد كبير تسونامي صغير مبعثراً الماء على ظهر السفينة التي استمات الجنود في المقاومة، حتى بدأت أول طائرات العدو تهوى إلى أسفل كصيد حمامة ببندقية رش.

سرعان ما أرسل الجنود الاستغاثة، لم يجدوا أقرب من موانئ فرنسا البحرية لإرسال الاستغاثة، التي هبت لإنقاذ حلفائها، وعلى الفور تحركت طائرات حربية وجنود، وتحركت قطعتان بحريتان، يبدو ون الحظ الآن يخدم الإنجليز، لكن يبدو أن أحداً الطيارين الألمان كان متفوقاً في درس النشان!

بدأ في إنزال حمولته من الصواريخ، والتي أصابت مقدمة السفينة والمدافع، وبدأت النار تشتعل بسرعة على ظهر السفينة، واحترق بعض الجنود. استمرت

المقاومة واستمر إنزال العبوات الناسفة، تداعت السفينة وبدأت تغوص في المياه.

لم يجد الجنود والأسرى مفرًا سوى إلقاء أنفسهم في المياه، حتى المصابين والجرحى بدأت الجثث تطفو فوق سطح الماء والدم يغطيه .

أخيرًا انتهى الرفاق من فك القارب وانزلوه للماء واستقلوا عليه وأخيرًا رحلت ستوكا بعد أن رأت فريستها تصبح الآن فريسة للماء وأسماك القرش.

لم يبقَ في السفينة سوى حطام، انتشرت أشلاء الجنود والأفراد على سطح الماء، بينما يحاول المئات السباحة للنجاة بحياتهم.

المشكلة أنه لا يوجد أرض قريبة! فالماء يحيط من كل جانب وكذلك الموت، كانت الشمس قد أوشكت على الرحيل، دقائق وسيحل الظلام ابتعدوا بشكل كافٍ عن حطام السفينة وعن صيحات وصرخات الجنود والأسرى العالقين في الماء، ولكن يبدو أن الرحلة لم تنته بعد!

بدأ صوت بعيد بالاقتراب، صوت كصوت ذبابة صغيرة، سرعان ما أصبح صوت تنين يقترب، كان سرّياً آخر من الطائرات يقترب، أكبر حجماً!

هل جاءت ألمانيا لتقضي على البقية الباقية من الجنود أم ماذا ؟

لحظة! إنها طائرات الحلفاء!

يبدو أنها فرنسية، ألا يمكن الهروب من هذا الكابوس؟

هناك أيضاً سفينتان أصغر حجمًا تقتربان، لقد جاء من يحملنا، فرح الجميع  
وركبوا لكن أنا تميت الموت .

اليوم السابع من يناير عام 1940 يصل عبد البصير ورفاقه إلى موقع غير موقعهم الأساسي، هم الآن على جزيرة ( جيرسى ) واحدة من جزر شمال غرب فرنسا الحصينة، معتقل لا يمكن الهروب منه، تتكون الجزيرة منأرض وبعض الأشجار، ومعسكر ضخم، وكان به العديد من الإنشاءات غير المكتملة يبدو أنه موقع مثالي للحلفاء، وأيضًا منعزل، شعر عبد البصير بأن هذا المنفى سيكون قبره الكبير، وأنه لن يغادر هذها لأرض حتى قيام الساعة. فالمكان هنا مثالي، شاحب، مخيف، حتى السماء فوقه حمراء اللون!

استمر عبد البصير وأصدقاؤه حوالي يومين يتعافون مما أصابهم وأصاب زملاءهم، لقد عاد ما يقرب من نصف من كانوا على متن السفينة، فعاد ستون بالمائة من الجنود وحوالي أربعون بالمائة من الأسرى، فقد كان الحلفاء رحماء حقًا لقد اهتموا بنقل الجنود أما الأسرى فكان دورهم في النهاية بعد الجنود، وقد عاش الأسرى الذين تحملوا فقط ( البقاء للأقوى ) أما الضعفاء والمصابون فكانت الماء أولى بهم.

حصلنا على معاملة جيدة في خلال اليومين، وحصلنا على الطعام، لم يكن قائد المعسكر موجودًا فقد كان في لقاء مع القادة وسيعود في الغد، لم نره بعد، لم يحدثنا أحد عنه، فمع المعاملة الجيدة التي يعاملها لنا الجنود كانوا أيضًا متحفظين تجاهنا، كانت نظراتهم لا تخلو من العنصرية والتكبر.

أتذكر تلك النظرات، نعم كانت نظرات العمدة الذى ألقاني هنا، ولكن لم أرَ شيئًا سيئًا منهم بعد، رغم أنهم لم يكونوا من جنسية واحدة، كانوا إنجليز

وفرنسيين، وهولنديين وبلجيكيين، ولكنهم كانوا تحت قيادة واحدة، وكان الجميع يعمل هنا وكأنها خلية نحل، لكن شغلياً أكثر كان الإنشاءات غير المكتملة، لماذا لم تكتمل؟ وهل لوجودنا علاقة بها؟ بدأت الأسئلة تتراكم حتى صباح اليوم التالي .

الصمت يلف المعسكر، لا توجد عيون مستيقظة سوى الجنود المراقبين، ولكن كل هذا تغير مع تمام السادسة صباحاً ضربت إنذارات المعسكر بأكمله، كشمس تسطع فجراً.

قام جميع الجنود مفروعين يرتدون ملابسهم، استيقظ الأسرى غير مدركين ما يحدث، وبدون سابق إنذار، وبدأ الجنود يعطوننا ملابس جديدة، ويأمروننا بسرعة الارتداء، والتجمع في الساحة بالخارج، زاد الاندهاش، ولكن سرعان ما ارتدينا ووقفنا في الساعة في صفوف منتظمة، ساد النظام المعسكر، بينما فتحت أبوابه لتدخل سيارة حربية مكشوفة أمريكية الصنع، عليها سائق وخلفه رجل عسكري يرتدى نظارة سوداء، بشاربه الأصفر الضخم وجسده العملاق، بعيون جاحظة من أسفل النظارة، كل ملامحه تشير بأنه صنع في إنجلترا لم يكن سوى الجنرال ( ريتشارد ) .

توقفت السيارة وارتجل القائد من سيارته، نظر إلينا محملاً لدقائق كانت نظراته تشبه الأشعة المسلطة عليك، بإمكانه رؤية عظامك من وراء جسدك، تخشى أن تراه في أحلامك وليس وجهًا لوجه، بعد أن انتهى بدأ الحديث .

- أحييكم لأنكم مازلتم على قيد الحياة، أعلم بأن جزيرتنا اللطيفة لم تكن وجهتكم، ولكن حدث ما حدث، أنتمالآن ضيوف لدينا، ولكن لا يجب على الضيف أن يجلس ويأكل ولا يفعل شيئاً؛ لذلك ستساعدونا قليلاً في إنهاء بعض الأعمال لدينا على سبيل الصداقة.

اعملوا جيداً ستكونون سعداء، وسأبعد أي أذى عنكم، من لن يعمل جيداً فصدقوني لن يريد أن يعرف ما سيحدث له، لا تقلقوا لن نتعبكم لنقل 10 ساعات في اليوم كافية .

بدأت علامات التوتر والضعف تظهر على وجوه نزلاء المعسكر الخمس نجوم .

نعم نعم، أعرف ما يجول بداخلكم، عشر ساعات قليلة!

إذن لنجعلها 12 ساعة، قسمة العدل نصف اليوم لنا، ونصف اليوم لكم، أتمنى أن تقضوا وقتاً مفيداً معنا؛ ولذلك سيبدأ العمل من اليوم وأول أعمالكم ستبنون مطاراً صغيراً لهبوط الطائرات في الجانب الشرقي، ونريد أيضاً بناء مخزن

كبير تحت الأرض لتخزين السلاح، ستكون أولى مهماتكم، ولا نحب التأخر، نريد الانتهاء منه في أسرع وقت، ولا داعي لأحذركم مرة أخرى.

الآن انتهى الحلم الصغير، وبدأ الكابوس المروع! لم تكن معاملتهم الجيدة خلال اليومين سوى تمهيد لما هو أسوأ، هذا الوحش الكاسر يأمرنا بالعمل الشاق ويتوعدنا بالعذاب إذا أخطأنا، الآن فقط أستطيع القول بأن رحلة الالعودة قد بدأت من هنا، ولن تنتهي حتى يتخطف الموت أجساد بالية ومعذبة بألم لا يطاق .

بدأ العمل الشاق أصبحنا نعمل من الساعة صباحًا حتى الساعة مساءً، اليوم بأكملها نعمل لا راحة لا توقف إلا لدقائق معدودة للطعام الذي لم يكن يُشتهى إطلاقًا، كان بعض الماء القديم والخبز.

بدأ الجنود يبدأون عملاً جديدًا كجلادين، أصبحوا مسلحين بالعصا والسياط، لم يكد أحديتوقف لأخذ أنفاسه واستعادة نشاطه حتى يهبوا عليه كالكلاب الجائعة، حتى يعود للعمل وهو يعرق وينزف.

الوضع يشتد، البرد أصبح قارسًا، درجة الحرارة قد تصل لـ 3°، أصبحنا لا نخلو من المطر والثلج الذي يزيد الوضع سوءًا، بعض الأفارقة لم يتحملوا هذا الجو، أخذوا يسقطون واحدًا تلو الآخر/ وما كان من الجنود سوى فتح حفرة صغيرة ليلقوهم إلى مثوهم، والبعض الآخر يستسهل ويقوم بإلقائهم في البحر!



المرض يشتد علينا، نخلت أجسادنا، وكان الوضع أكثر سوءًا عند الشيخ  
أبيالحسن الذى أعاقه السن عن عمل الشباب الصغير .

استمر هذا الوضع السيء قرابة الشهر، نعمل مثل الثيران، ولكن حتى الطبيعة  
تآمرت علينا فكان المطر والثلج يفسد كل ما نصنعه، هل لهذا الكابوس من  
نهاية؟

أجسادنا بدأت تتصلب، لم نعد نشعر بأعضاء أجسادنا، لا نشعر بها إلا عندما  
يتوقف أحدنا عن العمل فيقوم أحدا الجنود ليذيقه سوطه الساخن في برد أوروبا  
القارص؛ لتشعر بأن أعضاء جسدك تريد الانفصال، لتشعر كل واحدة بالألم  
بعيدًا عن الأخرى.

إلى متى سيستمر هذا العذاب؟ إذا كان الموت قريبًا فليأتِ إذن، فعذاب الموت  
يستمر لدقائق، ثم تسكن الروح.

أما ما نحن فيه فهو عذاب لا ينقطع، عذاب الجسد الجريح وعذاب الروح التى  
فارقت من تحب وهانحن نستعد لمقابلة جديدة مع المجنون ( ريتشارد ) .

- سمعت أنكم غاضبون وتذمرون تقولون بأن العمل قد زاد عليكم، وأنكم لا تستطيعون أن تكملوا في البرد، هذا حقكم وحق أصدقائكم الذين رحلوا، لكنكم لم تفهموا بعد ماذا تفعلون، أنتم تخدمون قوى الحلفاء، أكبر قوى على الأرض، ونحارب عدوًا شرسًا لا يرتاح، ماذا كنتم تتوقعون أن تفعلوا، كنا سنزرع بعض العنب ونهرسه!

إن الحرب أكبر من ذلك، ومن أجل هذا أنا هنا لأحقق لكم ما تتمنون، لقد طلبت من القادة أن يصرفوا لكم ملابس ثقيلة ضد البرد وأن تزيد حصص الطعام .

بدأت الابتسامة والفرحة تعتلي شفاه الأسرى قبل أن ينهيها ريتشارد :  
-ولكنكم ستعملون من الآن بدلاً من 12 ساعة ستعملون 16 ساعة.

هنا طفح كيل الشيخ أبو الحسن:

- هذا كثير، لقد تعبنا وجسدى لا يتحمل هذا العمل الشاق الآن، قليلاً من  
الرحمة نحن لسنا عبيداً .

هزت كلمات الشيخ أرجاء المعسكر، صمت الجميع كأن على رؤوسهم الطير،  
تحرك الجنرال في ثقة وهدوء تام تجاه الشيخ، انخلع قلب عبد البصير وعباس  
على صديقهما الذى سيفتك به هذا الأسد الإنجليزي، وكان الشيخ لا يهتمه ما  
سيحدث، لقد فاض به التعب والإرهاق ويقتن بأنه لن يعود وستكون نهايته  
هنا، بهدوء تام قال القائد:

- أنت محق، يبدو على ذقنك وهيئتك نك رجل وقور وتعرف الله جيداً، إن ما  
نفعله هنا ظلم ولكن اجعل ربك يوقف عنك وعن زملائك الظلم، وحتى ينقذك  
ربك فالظلم مستمر!

وصحيح قبل أن أرحل الجميع هنا ليعمل 15 ساعة فقط أما أنت 20 ساعة  
بمفرك وحرس خاص من أجلك .

لم يصدق أحداً قـيل، لقد حكم على الشيخ بالأشغال الشاقة المؤبدة لا بل ألـعن لقد حُكم عليه بالإعدام البطيء .

عاد العمل كما كان، زادت الملابس والطعام، وأيضاً ساعات العمل، البرد يشتد قسوة لقد وصلت درجات الحرارة إلى ما دون الصفر، ظللنا أياماً في هذا العذاب، ولكن لم أكن أخشى على نفسي بل كان كل ما يقلقني هو الشيخ. لقد زاد عليه العمل، كل ليلة تنتهي نعود للمعسكرات ويستمر هو، وهو لا يقوى على حمل فأس ومعه جنديان يؤنسان وحدته يلـعنان الساعة التي تحدث بها مع الجنرال حتى حرمهم من ساعات نوم إضافية من أجل الشيخ العاصي. بالطبع يخرجان غضبهما على الشيخ ويضربانه على أقل شيء، لم يكن يأتيني نوم حتى يعود منهكاً لا يكـد ينام أربع ساعات حتى يعود للعذاب، يدعو الله والدموع تنهمر أن يفك كربـه، نـحل جسده وازداد ضعفاً حتى اليوم الذي عدنا فيه من العمل ورأيت عباس مهرولاً تجاهي:

—عبد البصير لقد سقط الشيخ في العمل ونقلوه لعيادة المعسكر ويريد أن يراني أنا وأنت .

عيادة المعسكر تصلح بشكل كبير لتكون عيادة بيطرية وليست لبشر وجنود،  
وطبعل الإمكانات بها ضعيفة، لا تختلف كثيراً عن المستشفيات الحكومية  
بمصر.

ألقى الشيخ على أحد أسرة المرضى، ويبدو أن دماء كانت تسيل من رأسه من  
الواضح أن الجنود المراقبين قد زادوا في جرعة الاهتمام اليوم يكاد لا ينظر  
أمامه، شحب وجهه بطريقة مخيفة.

في الوقت ذاته وصل عبد البصير وعباس كانا متوقعين أن يحدث هذا من كثرة  
العمل عليه، وخاصة بعد الترقية التي منحها له الجنرال.

بسرعة أحاطا بسريه رباهاهه حتى لم يشعر بوجودهم حتى الآن، الوضع يزداد  
سوءاً، أنفاسه تبتعد عن بعضها بمسافة ميل تقريباً، الظلمة تتكاثر وأخيراً بدأ  
الشيخ بالتحدث:

- الإنسان غريب يظل حياته يعيش سواء كان سعيداً أو تقيساً لا يرغب  
بالموت، حتى الجنة يريد لها بلا موت ولكن عندما تقترب ساعة النهاية يعلم أنه  
كان مخطئاً وأن الوجود بجانب الله أكثر راحة وأسهل كثيراً .

- بالله عليك استرح الآن ولا تجهد نفسك بالكلام .

- لن يغير قضاء الله، دعونيأقل ما أريد، عباس أنت شاب طيب ولكنك طائش وتسعى وراء النساء استقم في حياتك تقرب من الله حتى يخرجك من محنتك، أريد وأنا في دار الحق أن أعلم أنك أصبحت أفضل .

- أمرك يا شيخنا، ولم يتمالك عباس نفسه من البكاء المكتوم .

- عبد البصير ولدى العزيز، لقد رأيت حلمًا أراك وقد اجتمعت عليك الجروح والهموم، سيرسل لك الله من يخرجك، أراك على ظهر مركب وتعود على مصر أنت طيب، سيخرجك الله مما أنت فيه، لا تيأس ولا تدع السواد يجتاح قلبك أوصيك بعائلي وبنفسك .

- أعدكياشيخ، يا شيخ! لم لا ترد؟!!!

لقد توقف القلب! لم أكن أعلم البكاء بكيت على الشيخ أكثر ما بكيت على أبي أنا صعيدي وعليأخذ الثأر .

في اليوم التالي توسلنا للقائد عديم الرحمة أن يترك لنا جثة الشيخ ندفنه كما في الشريعة الإسلامية.

بصعوبة وافق، غسلناه وكفناه في غطاء سريره وساعدنا بعض أصدقائنا المسلمين، حملناه لموقع قرب البحر وحددنا موقع الشرق ودفناه تجاه القبلة، شرعت في الدعاء بينما حمل عباس لوحًا وكتب "هنا يرقد المغفور له بإذن الله الشيخ فلان"

حتى لا يدنس أحدهم مكان القبر، عدنا للعمل وقد تغير كل شيء، لم نعد كما كنا، أصبحنا أكثر قسوة وغلظة، تمنى عباس لو يحمل رشاشًا ليفرغه في

ريتشارد، أصبحت أنتظر اليوم الذى سأنتقم فيه وأخذ ثار صديقي، أصبحت أعمل بلا مبالاة، تجمد لدى الإحساس، صرت يومياً أجمع آلاف الأفكار لاحت الانتقام أصبحت أعرف عن ريتشارد أكثر مما يعرفه عن نفسه، بينما كان عباس في الوقت ذاته يخطط لشيء آخر أكثر جنوناً .

يوم آخر من انتهاء العمل، كان كل يوم تمر ونحن أحياء يعد هذا إنجازاً كبيراً، الوضع يسوء أكثر، لم يكن الشيخ آخر الضحايا مثلما لم يكن أولهم وبمجرد انتهاء العمل عدنا لمعسكرات النوم، لم نكن نخلع ملابسنا من البرودة ذهبنا إلى سريره من أجل النوم ولكن وجدت أمامي عباس يريد أن يتحدث :

- عبد البصير هل بإمكاننا التحدث قليلاً ؟

- عباس ألا ترى أنني متعب بما فيه الكفاية؟

- أريدك في أمر مهم لا يتأخر .

- تفضل أفصح عما لديك .

- لقد وضعت خطة لنهرب من هنا .

ضحكت وقلت له :

-أنا في مزاج سيء ولكنك أضحككتني .



- ما هو الطريف فيما أخبرتك به؟ هل ستظلون هنا حتى نلقى حتفنا مثل ما حدث مع الشيخ؟ نريد العودة لبلادنا .

اختفت الابتسامة وعاد التجهم لوجهي مرة أخرى .

- استيقظ يا عباس لا يوجد مفر مما نحن فيه، نحن على جزيرة مهجورة لا يوجد عليها سوى مئات الجنود المسلحين وبعض المدافع الثقيلة كيف ستهرب من هنا ؟

- لقد وجدت الخطة، بعد أربعة أيام ستأتي القطعة البحرية التي تحمل الامدادات للمعسكر، نحن سنذهب لإنزال الحمولة، بينما نقوم بذلك سنختبئ في أحد قوارب النجاة حتى أقرب ميناء ننزلها ونبتعد .

- لقد فقدت عقلك تمامًا .

- صدقني سنستطيع الهرب وإن متنا سنرتاح من عذابنا .

- أنا لست معك .

- كما تريد يا صديقي، لكن عندما أخرج من هنا ستمنى لو أنك نجوت بحياتك معي أو حتى مت معي .

توترت العلاقة بيني وبين عباس الذي فضل الابتعاد عني، حاولت ثنيه عن قراره ولكن بلا فائدة، يبدو أن موت الشيخ أثر على عقله تمامًا، والإنجليز ليسوا

بتلك السهولة للهروب منهم، وأنا لن أبرح مكاني حتى أنتقم من كبيرهم على ما فعله بصديقي.

وفي صباح اليوم الرابع وصلت باخرة حربية تحمل من خيرات الله، ذخيرة وسلاح وطعام، أرسل الأمر للجنود والعمال بالبدء في إنزال حمولة السفينة، كانت لدب خطة أنفذها لأحققالانتقام ولكنها ليست الآن، بينما صديقي المتسرع قد بدأ فعلاً في تنفيذ خطته.

بعد إنزال ثاني حموله له صعد على السفينة بسرعة ومهارة وبدأ التحرك بعيداً عن موقع العمل، حتى وجد ضالته ولكنه نسي أن يخفي آثار أقدامه التي تتبعها أحد جنود السفينة حتى وصل إليه، ولكن عباس هرب أخذ يجرى على السفينة وأصبح يطارده أربعة وأمر العمال بالتوقف عن صعود السفينة حتى ينتهوا شعرت بالقلق هل كشف عباس نفسه؟

وبينما يهرب عباس وصل لمؤخرة السفينة حتى وصل أحد الجنود أمر عباس بالتوقف ولكنه باغته وضربه وأخذ منه السلاح، أخي عباس النصر يقترب ولكن ما لبث أن أخذ السلاح حتى اقترب جنديان وما كان من عباس أن يطلق النار حتى سبقه الاثنان لقد أحمد الاثنان نيرانهم بصديقي سقط عباس، وشعرت بما حدث !

ها قد رحل آخر أصدقائي، إنجلترا إن حسابك يشتد معي ولن يكون الانتقام رحيماً.

استقرت رصاصتان، واحدة بقلب وأخرى بمعدي صديقي، سرعان ما أسلم الروح لخالقها، بالحظه لقد انتهى عذابه، ولكن ما حدث بعد ذلك أسوأ لم يرحموا حتى جثة القتيل البطل لقد حملوها لساحة المعسكر وألقيت على الأرض أمامنا جميعاً وصل ريتشارد بابتسامة.

حصل على فريسة بعد صيام ثلاثة أيام وأخذ يحذر كل من يحاول الهرب وأن تلك ستكون نهايته، ليس ذلك فقط بل ووضع قدمه على رأس صديقه تمزق قلب عبد البصير، حاول أن يفعل شيئاً لكن ماذا؟

لم يكتفِ ريتشارد بهذا الحد حتى أمر بتعليق جثته أمام بوابة المعسكر ليكون عبره لمن تسول له نفسه الوقوف أمام عظمة بريطانيا والحلفاء، ولكن بعد محاولات عدة أيام معه وبعد خروج رائحة المتوفي سمح لهم بمداواة الأمانة، ليجلس في حفرة صغيرة بجانب صديقه الشيخ في الوقت ذاته كانت خطة عبد البصير في الانتقام أصبحت جاهزة وحصل على ما يريد لا ينقصه سوى التوقيت المناسب في الوقت ذاته كان مسار الحرب يأخذ شكلاً جديداً الآن .

هتلر مازال يرعب الحلفاء بتقدمه السريع، استطاع في وقت قصير احتلال  
بولندا وتشيكوسلوفاكيا والنرويج والدنمارك، وها هو الآن يخطط لاحتلال  
جيرانه.

قرر هتلر في يوم العاشر من مارس 1940 وفي تمام 5:30 دقيقة صباحًا عمل  
غزو كبير لجيرانه الحلفاء بلجيكا وهولندا وفرنسا، وبجيش يزيد عن 2 مليون  
غازٍ.

بدأت الحرب! قام هتلر بقصف وسحق بلجيكا وهولندا، سيطر على المعازل  
والحصون استطاع فتح حصن أبايميل والذي كان من المفترض سجن عبد

البصير الأول، لم تكن هناك ذرة رحمة، ضرب ميناء نوتردام في هولندا بعد استسلامه، هتلر لا يمزح، استمرت عملياته دخل بالطيران وبستوكا المفضلة، استخدم دباباته العملاقة (بانزر)، وفي نصف شهر تقريباً أعلنت بلجيكا الاستسلام لهتلر حتى لا يبقى شيء يفصله عن فرنسا .

استمر جيش هتلر الذي لا يتوقف، كان الهدف القادم فرنسا، وفي يوم العاشر من يونيو أعلن الفاشي موسليني دخول إيطاليا الحرب بجانب هتلر، لتزداد قوة الحور ويكمل هتلر بخطى ثابتة دخول فرنسا، ظنت القوات الفرنسية أن هتلر سيفعل مثلما فعلت ألمانيا في الحرب العالمية الأولى وتهاجم فرنسا من بلجيكا مباشرة، ولكن كان ذكاء هتلر أكبر من ذلك وترك القوات الفرنسية تتوغل في بلجيكا بجيشها وحرك هتلر جيشين، وأحكم القبضة على فرنسا من جهتين ليقع الجيش الفرنسي فريسة سهلة للألمان الذين بدأوا بالفعل التوغل في شمال فرنسا واستمروا في التقدم حتى وصلوا عاصمة النور ( باريس ) العاصمة الفرنسية .

في الرابع عشر من يونيو وصل الألمان حدود باريس، بدأ الأهالي في الفرار والهروب، لن يجلسوا حتى يقتلهم هتلر وجنوده، القوات الألمانية تصل إلى قوس النصر وتقترب من قلب العاصمة إلى برج إيفل، بدأ الألمان عمل استعراضاتهم في الشوارع في الوقت الذي حوصر فيه السكان الفارين بعد تدمير الجسور

فيما عرف بـ ( سفر الخروج )، ولم يبقَ أمامهم سوى الهلاك أو استسلام فرنسا،  
تولى المارشال ( بيتان ) أمور فرنسا، وأعلن الاستسلام!

بعد ثلاثة أيام وصل هتلر إلى باريس، تصوره الدعاية وهو أمام برج إيفل فخر  
فرنسا هو وقادته، لقد أكد للعالم بأنه خصم لا يُستهان به، لقد أحضر معه  
عربة القطار التي وقعت بها معاهدة استسلام ألمانيا في الحرب الأولى لقد برع في  
إذلال الفرنسيين، ووقع بها استسلام فرنسا وإلغاء معاهدة فرساي.

عاد هتلر لألمانيا وكل ألمانيا تهتف له، لم يعد هناك أحديعارضه الآن يفعل كل ما  
يريد، تخلص الآن من أكبر القوى العظمى ولكن مازال هناك دولة تنغص عليه  
احتفاله، بريطانيا جزيرة في البحر ولا يمكن الزحف لها أبداً، ولكن قادته أكدوا  
له بأنه يجب احتلال جزر فرنسا الشمالية ليستطيع جعلها مراكز لضرب إنجلترا،  
وهو في مكانه كان من تلك الجزر ( جيرسي ) سجن عبد البصير ومقبرة زملائه  
لقد حان الآن وقت تلك الجزيرة لتعاني قليلاً، على الحلفاء أن يستعدوا فهتلر  
قادم ولن يوقفه شيء مهما كان !

- انظر خلفنا هل هناك أحديرانا .

- لا يوجد أحد، الوضع آمن .

- أسرع إذن يا جاميكا لا نريد أن يشعر أحد.

بسرعة وبمهارة شديدة فك جاميكا مسامير الصندوق الخشبي الذى يحمل الأسلحة، كان ثقيلاً حقاً وفي غضون دقيقة انتهى جتميكا من فتح الصندوق .

- أمامك عدد كبير من أنواع الأسلحة، اختر ما تشاء، جذبت أحد الأسلحة عين عبد البصير كان مسدساً صغيراً ومليئاً، قادر على إطلاق 25 رصاصة في الدقيقة كان هو الاختيار المثالي،أخذه عبد البصير وأخذ بعض الذخيرة من الصندوق، أعاد جاميكا إغلاق الصندوق بنفس السرعة وشرعا في إيصاله إلى المعسكر بعد أن اخفى عبد البصير سلاحه جيداً .

- لن أنسَ مساعدتك يا جاميكا .

- لا تقل هذا، ولكن أطلب منك أن تغير التفكير فيما ستفعله .

- لا يمكن ترك دم الشيخ بدون ثأر .

- ستعرض نفسك للهلاك .

- وهل نحن هنا في نزهة؟ نحن في الجحيم بنفسه .

- ماذا يحدث عند السفينة؟ ولماذا يقف الجميع ولا يعملون؟

- فلنسرع إذن لنعرف .

وما إن وصلنا حتى وجدت جثة عباس تحت قدم ريتشارد متهدداً متوعداً.

واااااا استيقظت من كابوس!

أصبح لا يفارقني، حتى أحلامي وذاكرتي تشجعاني على الانتقام، لم يعد ما أخشاه أو ما أنا عليه تحسست سلاحه تحت مخدتي، قريباً سينتهى كل شيء، سأنفذ انتقامي وليحدث ما يحدث .

كان يوماً مختلفاً، على الجزيرة لم يكن سوى يوم احتفال لقد انتهى عبد البصير ومن تبقى من زملائه أحياء من إنشاء المخزن والمطار.

أخيراً يوم بلا عمل شاق ولا تعذيب!

وقد حل على أوروبا أجواء الربيع الهادئ بعد الشتاء القارص، نظم القائد احتفالاً صغيراً، بينما سمح لبعض الضباط بأجازة صغيرة لرؤية عائلاتهم وزوجاتهم اللائي نسين أشكالهم، أعدوا بعض الطعام الجيد والمشروبات ووضعت منصة ليجلس عليها القائد وكبار رجاله ليلقي ببعض العبارات الحماسية.



في الوقت ذاته كان يستعد عبد البصير لتحقيق العدل الإلهي فمن قتل يُقتل، على ريتشارد اليوم أن يتذوق مرار ما فعله بأحد قائمة وبعبد البصير، تطوع ليقف على الطعام لتقديم الطعام للجنود وحتى يأمنوا شره لم يكن مسلحاً أو هذا ما ظنوه، لقد أخفى عبد البصير سلاحه في كيس أسفل شجرة قريبة منتظراً الموعد المناسب لتحقيق هدفه .

بدأ الحفل صباحاً اجتمع الجميع أمام المنصة والقادة يتناوبون على إلقاء خطبهم، والتي امتلئت بالعبارات القوية ومدح أوطانهم، ويتوعدون هتلر، وأن النصر سيصبح لهم بينما الجنود يصيحون ويهللون، بالطبع لم يكن أحدهم يعلم ما حدث بباريس هل يخبرهم قادتهم حتى تخور عزيمتهم؟

وشك الحفل على الانتهاء، وهنا لاح ريتشارد مستعداً لإلقاء كلمته الأخيرة، في ذلك الوقت استأذنب عبد البصير صديقه أن يأخذ مكانه حتى يذهب لدورة المياه، وهنا هرول عبد البصير للشجرة حفر سريعاً وأخرج السلاح وضع في خزانة الطلقات كان ينوي تفريغها جميعاً به وعاد لموقعه .

- والآن أدعوكم لنهي الاحتفال وسيعود العمل من الغد .

- هذا من أجل أصدقائي ريتشارد .

طــطــط

لم ينتبه عبد البصير ليجيد التصويب، اهتم بتوصيل الرسالة أكثر وكأنه يحذره من هجوم، وللأسف استطاع ريتشارد الهروب بينما استقرت رصاصة بقلب نائب الجنرال الجالس بجانبه.

ساد الهرج المعسكر، لم ينتظر عبد البصير كثيرًا، وجد نفسه لا إرادياً يهرب، ولكن لا يعلم أين يجرى، وكفى في الوقت ذاته صرخ ريتشارد بجنوده بإحضاره حيًا ليلقنه درسًا في الأدب والتعامل مع الكبير أولاً، لم يعرف أصدقاء عبد البصير ماذا يفعلون فهم يعلمون بأن قلبه يدمي على أصدقائه وأن الحياة لا تهمه، ولكن الجنود انتشروا في كل أرجاء الجزيرة يبحثون عنه بينما عبد البصير مختبئ.

حين علم بأن تلك نهايته لم يحزن ولكن ما اعتصر قلبه حقًا أنه لم يقضِ على ريتشارد، ولن يأخذ حق أصدقائه، كيف سيواجههم عندما ينزل إلى حفرة جوارهم؟

أهكذا تكون نهايته؟

ما أبشعها من نهاية!

ولكن هنا ما حدث لم يكن في الحسبان، بينما عبد البصير منهمك في حزنه سمع صوتاً قريباً لرأسه، يبدو وأنه سمعه قبل ذلك ولكن لم يكن في مناسبة سارة. ماذا؟

إنه صوت ستوكا!

لقد عاد الألمان ولن يمنعهم شيء، فبينما الجنود وريتشارد يبحثون عن عبد البصير نظروا فوقهم ليجدوا سرباً جديداً من الطائرات الألمانية تحلق فوقهم. ولكن كانوا يتجاوزون الخمسين طائرة، بدأت الطائرات في إلقاء زهور السلام التي حولت جندياً يقف قريباً من ريتشارد إلى أشلاء، أخذت الانفجارات تدوى في أرجاء الجزيرة، ضربت الطائرات مطار الحلفاء وطائراتهم التي لم تقلع. اندلعت الحرائق في الجزيرة، أمر ريتشارد بالعودة للمعسكر للمقاومة، وصل الجنود وفتحوا مخازن الأسلحة أخرجوا ما لديهم من مدافع (الآر بي جي) والجيرانوف والقنابل اليدوية، سلحوا كل الجنود وبدأوا في التصويب ناحية الطائرات، ولكن ستوكا تحوّل المعسكر والثكنات إلى كتلة نار، حتى مخزن السلاح قذيفة واحدة كانت كفيلاً بتحويله لانفجار هائل.

في الوقت ذاته زادت شراسة المقاومة من الحلفاء أسقطوا أكثر من طائرة لألمانيا، حاول ريتشارد إرسال استغاثة بلا فائدة، ضربت كل خطوط الاتصال على الشاطئ، يبدو أن ألمانيا وصلت بقطعتين حربيتين قامتتا بإنزال مئات

الجنود لتبدأ معركة برية، وجهوا كل أسلحتهم تجاه المعسكر المشتعل لتقتل كل من يقترب.

هجوم مباغت من الجو والبر والبحر، أحس ريتشارد باقتراب النهاية، حاول الوصول لمكتبه لإخفاء أية أوراق أو مستندات بها معلومات سرية أو معلومات حربية قد تفيد الحلفاء، ولكن مالا يعلمه أن عبد البصير كان في طريق عودته لمكتبه، فلو قُدِّرَ لعبد البصير الموت سواءً على يد الحلفاء أو المحور الذين أنقذوا حياته منذ قليل، يجب أن يتم مهمته الأولى وهي القضاء عليه.

في ذلك الوقت وصل لمكتبه، والذي سقطت أمامه جثة الجندي الحارس للمكتب بسرعة أخذ ريتشارد المفاتيح من يد القتيل ليدخل مكتبه، في ذلك الوقت استسلم الجنود ورفعوا الراية البيضاء مطالبين بالعفو.

رُفِعَ علم ( سواستيكا ) شعار النارية، الصليب المعقوف على جيسى. وصل قائد قوات النارية ( غيدرین ) كان له هدف محدد، مكتب القائد الحلفاء ليصل لمعلومات تخص البحرية الإنجليزية، كان لا بأس بإعدام بعض الجنود الذين أعاقوا تقدم الألمان، بينما أبقوا على الأسرى وصوروهم ليستهزئوا بإنجلترا التي جعلت مستعمراتها تحارب معها، وأيضاً ليستفيدوا بهم.

وما إن وصل مكتب ريتشارد حتى أعدله مفاجأة، وعبد البصير أيضاً أسرع القائد غيدرین بعد سقوط كل مقاومة من الحلفاء، والتمكن الكامل للنازيين على الجزيرة إلى مكتب قائدهم ولكنه لم يعلم بأن القائد مازال حيّاً لم يستسلم،

وسيحاول قتله ما إن دخل مكتبه حتى وجد المكان مرتبًا وهادئًا وبه بعض النوافذ الزجاجية المفتوحة، وفي نهايته مكتب ضخم.  
ظن بأن القائد ترك موقعه وهرب لأدغال الجزيرة ذهب وجلس على المكتب وأخذ يبحث في الأدراج على الورق ولكن سرعان ما باغته وظهر له ريتشارد، حاول القائد إخراج سلاحه ولكن عاجله ريتشارد برصاصة في ذراعه أفقدته القدرة على التحكم بيده اليمنى .

- تظنون أنكم ستنتصرون بتلك السهولة؟

- لقد استسلمتم بالفعل ولا فائدة مما تفعله .

- سأموت إذن، ولكن سأخذ روحك مكافأة أولاً .

- اقتلني، إذن سيأتي غيري ويكمل المهمة .

- استعد لتودع حياتك .

- ثم ينتبه ريتشارد الذى أعطى ظهره للباب من الضيوف القادمين الذين سدّدوا له رصاصة إلى ظهره، لم يحب هذه المرة، لم يكن الضيوف سوى عبد البصير والذى سقط ريتشارد وهو ينظر لعبد البصير مذهولاً .

- ألم أخبرك أننى سأقتلك؟ طأأأأ

هذه من أجل الشيخ أبو الحسن

طالبا هذه من أجل عباس .

طالبا هذه من أجل أنا وما فعلتم بي .

وأخيراً سكن الوحش ريتشارد، لا بد من حين تبادل غيدرلين وعبد البصير  
نظرات طويلة صامته لدقائق في وقت دخل الجنود الألمان واستعدوا لإصابة  
عبد البصير .

\*\*\*\*\*

اليوم أكملت مهمتي، انتقمت الآن من الإنجليز ومن السفاح ريتشارد، كان  
يتكلم مع القائد الألماني بمنتهى الخوف بينما الآخر بارد الأعصاب كان هذا  
أعظم لدى من قتله.

لقد رأيت الخوف في عينيه الآن، هذا البركان الثائر داخل منذ قتل  
أصدقائي، الآن أراه أمامي جثة هامدة ونظرات حائرة من القائد الألماني أهذا  
حقيقي أم مقلب؟

يصل الآن جنود الألمان ليروا قائداً إنجليزياً مقتولاً وجندياً إنجليزياً ولكن يبدو أن  
والدته زنت مع افريقى ليخرج هذا الهجين، وقائدهم، دفعوا أسلحتهم،

استعدوا للتصويب، هيا افعلوها وأريخوني من تلك الحياة البائسة سأكون ممتناً لكم بشدة ولكن كل شيء تغير في لحظات .

- ماذا تفعلون أيها الحمقى ؟

- سنقتل هذا الإنجليزي .

- ومن أخبركم أنه عدو؟ إنه واحد من أعيننا، هيا ارحلوا الآن، أمنوا باقي الجزيرة، وانتظروا أوامري، وأحضروا الطبيب مولر ليرى يدي المصابة .

انحنى الجنود احتراماً لي وخرجوا، وبقيت أنا والقائد بمفردنا، ( غيدرین ) قائد ألماني من أسرة نازية حتى النخاع، نبيلة، أبيض البشرة أحمر لون الشعر، يبدو أنه أنهى الشوط الأربعين ودخل الشوط الخمسين في حياته، له بنية بطل روماني قديم من الحاصلين على المركز الثاني فوق جبل الأولمب، لديه شعر وجه خفيف شفاف.

بعد خروج الجنود ظل صامتاً حتى قتل الصمت بسهم من لسانه .

- لم يعلمنى القادة بأنه لدينا جاسوس على هذه الجزيرة .

- لم يكذب عليك قادتك سيدي .

- إذن فأنت لا تعمل لحساب ألمانيا، فلمن تعمل؟

وإن كنت جندياً ألمانياً وقتلت قائدك حتى لا تعدم فصدقني قد فشلت خطتك

.

- تستطيع القول بأن لدي حساب عند هذا المسخ، وكان يجب أن أصفيه ولا

أخشى الموت لو أردت قتلي بإمكانك هذا .

- من تكون إذا ؟ .

مندوب ملاك الموت فرع بريطانيا العظمى .

- لهذا الحد تكرههم؟

هل قتلوا عائلتك أم اجبروك على الحرب؟ من أين أتيت إذا ؟ أنت لست

أسود كالأفارقة ولا أبيض كالأوروبيين .

- نعم قتلوا عائلتي، أما أنا فقد حملوني من بلادى رغماً عني أو بإرادتي لا يهم،

وأنا من مصر .

- لقد أنقذت حياتي وقدمت خدمة لألمانيا وهتلر، لك عندي حق لو أردت

أن أعيدك إلى بلدك في أقرب فرصة .

- نعم أريد العودة إلى بلدي وأهلي ولكن هناك حساب أريد تصفيته أولاً .

- من ماذا ؟ لقد قتلت قائداً للحلفاء، ماذا تريد أكثر ؟



- أريد أن أنتقم من الإنجليز وبريطانيا بأكملها، أريد كما أسروا بلدي وسرقوا خيرها واستباحوا حرمتها بنجاستهم وقتلهم أبناء بلدي، أريد أن أنتقم.  
هنا لا يوجد ملك ولا حاشية يمنعوني منهم، وإن لم أستطع مقاومتهم في بلادى فأستطيع مقاومتهم هنا .

- ماذا تريد إذن ؟

- أريد أن أحارب معكم، أن أحارب من أجل هتلر وتحت علم ألمانيا .  
- لا أستطيع أن أعدك الآن، رغم كفاءتك، لكني سأفكر وأبلغ القادة وهذا ما يمكن فعله.

يمكنك الآن ارتداء الزى الألماني والعمل مع جنودنا حتى أبلغ بالنتيجة من  
الآن أنت واحد من الألمان .

اختلفت حياتي تمامًا من بعد هذا اليوم، تم تدمير كل ما هو ملك  
للحلفاء، أسقطت أعلامهم ورفعت الأعلام النازية.  
حقيقة لم ألقَ في البداية معاملة جيدة من الألمان، ولكن ليس بسوء معاملة  
الإنجليز، لم يكن معظمهم يصدقون أنني جاسوس كانوا يعرفون أن ورائي سرًا ما،  
ولكن مع الوقت تحسنت معاملتهم، فالألمان لا يقبلون أحدًا من خارج جنبهم  
الأبيض بتلك السهولة، ولكن الحياة لا تنتهي من الاستثناءات.

أعتقد أن البشر صنعوا القوانين والقواعد والإلزامات ليخرجوا عليها. أصبحت قائدًا للأسرى الذين خرجوا من كنف الحلفاء للمحور، كنت رحيماً بهم، شرعنا في بعض الأعمال وساعدنا الألمان في إزالة آثار الدمار على الجزيرة.

حصل الألمان على كل أسلحة الحلفاء السليمة، وما تلف قمنا بدفنه، لم يكن مسموحًا لي بعد إمساك سلاح، ولكن سلاحى الذى قتلت به ريتشارد لا يفارقنى طبعًا بعد نزع خزينته.

تذكر بسيط تمنيت لو كان أصدقائي لا يزالون أحياء وأراهم مرة أخرى، في كل مرة يأتذكركم تشتعل النار في قلبي، لا تتوقف أمعائى كزلال يقسمنى إلى نصفين.

حلفت لأنتقم لن أعود بلدى إلا وانا محمل بأكاليل النصر، سأضع حدًا للإنجليز، سأمنعهم من النصر ليس لأنهم قتلوا أصدقائي فقط، ولكن من أجل العالم بأكمله سأمنعهم من استغلال خيرات مصر وتقسيم فلسطين وإبادة اهل الهند وقتل المسلمين في بنجلادش وتدمير العراق، أيتها الشيطانة سأحرقك إلى الأبد بنا وهتلر .

وبينما تسير حياتى على هذا النمط تعلمت بعض الألمانية والإيطالية فالألمان اكثر غيرة على لغتهم من زوجاتهم، وأثناء وجودى بالمعسكر جاء أحدا الجنود - القائد بانتظارك في مكتبه

- أعتقد أنه وصلة الرد بشأنى، هذا ما أنتظره .

لم يطل السير كثيراً حتى وصلت لغرفة القائد، سمح لى الحارس بالدخول ووجدت القائد يجلس وبجانبه زجاجة خمر معتقة، شرب منها حتى ثمل ولكن كان هناك شيء أغرب لقد وجدت في نهاية المكتب فتاة صغيرة نائمة مستلقية على كرسي صغير، يبدو أنها في العام العاشر لها على كوكب الأرض، ملامح بريئة هادئة ذات شعر أصفر قصير ولكن ما الذى يأتي بطفلة صغيرة بمكتب قائد ألماني سكر حتى الثمالة في جزيرة حربية وقبل أن أقول شيئاً تحدث هو أولاً:

- تعلم يا صديقى؟ لقد وصلنى أمر مهاجمة تلك الجزيرة مفاجئاً، لم أكن استعددت بعد، رصدت لى بعض الطائرات والسفن وكثير من الجنود وقليل من التقدير لكن لا أخدم سياسيين أنا أخدم ألمانيا وهتلر فقط .

وكنت قد دخلت في علاقة جديدة، سيدة من شمال فرنسا وكان لديها طفلة لقد دمر منزلها كما دمر قلبي حينما رآها، عرضت عليها أن تنضم إليّ في مهمتي كطباخة على السفينة، كانت رائعة في تحضير الحلوى والبودينغ ولم يعترض أحدهم القادة اصطحابها معى باعتبارها عاملة ومخلصة لهتلر .

كنت كل يوم على السفينة في آخر الليل أنسل بنفسى إلى غرفتها، كنت أنسى معها همومي ومخاوفي كانت عطوفة وجميلة ومثيرة أيضاً، كنت أشعر اننا زوجين

حديثين على ظهر باخرة سياحية لقضاء شهر العسل في فيينا، وفي ربوع

البندقية، أحببتها من كل قلبي حتى جاء يوم لم يكن فيه مهام كثيرة

انتهت فترة عمل الشمس مع الغروب، دخلت غرفتها وجدتها ترسل شفرات

خاصة للبحرية الفرنسية ليعترضوا طريقنا، أتعلم؟ لم يغضبني هذا حقاً بقدر أنني

عرفت أنها يهودية .

ألقيت القبض عليها بنفسي، سددت رصاصة نحو مخها فانفجر أمام عيني،

كنت رحيماً حتى في موتها، أهديتها راحة سريعة، بعد ذلك عدت لتفتيش باقى

الغرفة لم أجد سوى بعض الصور الخاصة بنا صورة وأنا أحتضنها صورة وهى

تقبلني وصورة أخرى ونحن نبتسم لبعضنا، وكان خلفنا أشجار قبل أن تسويها

طائرات الحلفاء والمحور بالأرض.

إخلاص وحب كبير من خائنة، تعثرت يدي في رسالة لها .

- حبيبي غيدرین عرفتک منذ خمس سنوات وقت ما كنا نحيا في سلام، كنت

طيب القلب ناصع الابتسامة، لم يكن هتلر قد لوث عقلك، عشقتك مثلما

عشقت فرنسا، ولكن أصدقاءك دمروا فرنسا، ولكن لم يدمر حبك من قلبي

حتى بعد تدمير منزلي، لم يبق لي في الحياة سواك وابنتي وهيلجا من هيلجا ؟ نعم

ألم اخبرك أنني حامل منك؟

سيكون لي شيء منك سأسميها ( هيلجا )، لقد عشقتها قبل أن أراها لأنها  
منك، أعلمك بأنني أتعبتك ولكن لا أوافق فيما ستفعله، لقد اقتحم سيدك  
بلادي ولن أتركه، عيبك الوحيد أنك تتبع المخبول الظالم.  
عزيزاً أحلم كل يوم بعالم يحمل السلام لا حروب ولا دماء، أحلم بالورد يكسو  
العالم، والسماء والأفكار الزرقاء، سنعيش أنا وأنت وطفلتنا نجري  
ونلعب، تكبران أمامنا ونزوجهما، وأموت وأنا أحتضن يديك، أرجوك أن تسامحنى  
على خيانتى وأيضاً لم أخبر الفرنسيين باسمك أو أنك قائد الأسطول، وأيضاً  
وضعت لك ورقة اليوم في الجيب الخلفي لتحذيرك لتهرب حتى لو قتلتنى  
سأكون سعيدة بأن أموت على يد حبيبي ... الوداع .

- ورقة واحدة جعلت قلبي يعتصر حزناً، بكيت؟ نعم كنت أول مرة أبكي في  
حياتي لقد حزنت حينما قُتل أبي، ولكني رفعت رأسي وأبت عيناى أن تدمعا،  
ولكن لا أعلم ما حدث .

جثيت على ركبتي وأخذت في البكاء كطفل صغير فقد والدته، دموعي تنهمر،  
احتضنت الورقة حتى كادت أن تتلاشى في يدي، تشممت رائحتها في  
السطور، رأيت عينيها في الورقة تذكرت ابتسامتها في الكلمات كانت سيدة  
قلبي الأولى قبل أن ينبذها عقلي .

تابع عبد البصير كلمات الجنرال التي ترقرت دمعة من عينيه، لتبلل ملابسه العسكرية، كنت أحسبهم جميعًا جمادًا لا إحساس أو مشاعر لديهم حتى تكلمت .

- سيدي لماذا تخبرني بتلك القصة؟

- هل ترى تلك الطفلة الصغيرة الجاثية هناك ؟

- نعم يا سيدي .

- إنها تحمل كثيرًا من ملامح والدتها، وأنا لا أريد تذكر والدتها إلى الابد .

أخرج القائد مسدسًا كبيرًا من مكتبة وأعطانيها:

- لقد طلبت الانضمام لجيش هتلر العظيم، وأنا عرضت الأمر على بعض القادة ووافقوا خاصة لما أبديته من إخلاص لهم بقتل القائد الإنجليزي، ولكن تبقى شيء آخر

- ما هو ؟

- أن تثبت ولائك لي أنا .

- وكيف أثبت ولائي ؟

- اقتل الطفلة .

- .....

- ألم تسمع ما قلت؟ لو فعلت هذا سأجعلك من أصحاب الكلمة المسموعة في ألمانيا .

- ولكن ما ذنب الفتاة؟

- والدة الفتاة أحبتني كثيراً أكثر من نفسها، ولكنها كرهت هتلر، مسكينة لم تكن تعرف بأني أحب هتلر أكثر من نفسي، للحظات تذكرت كلمات شخص شبيه به كثيراً جميعهم واحد مع اختلاف الألقاب والمسميات ( قادي سعيد ) إذن أنا سعيد .

- لقد قتلت ابنتي التي لم تر الحياة بفعلتها فيجب أن تموت ابنتها أيضاً، ولكن هون عليك ففي النهاية هي يهودية نجسة.

لم أكن أعلم سر كره الألمان لليهود لا أعرف سوى أن هتلر اتهمهم بهزيمة ألمانيا في الحرب الأولى، وأنهم سبب الأزمة الاقتصادية في العالم، ومن يعلم فقد يكونوا السبب في خسارة بروسيا دورتموند من فريق مانشستر الإنجليزي!!

ولأدري سبباً لا احتراق الآلاف من اليهود في نار فرعون ألمانيا، لقد أمسكت بالسلاح ويدي ترتعش، صوبته تجاه الفتاة ويدي مازالت ترتعش نظرت للفتاة نظرات طويلة، لا أعرف ما أفعل عقلي لا يطاوعني، قلبي لا يطاوعني، يدي لا

تطاوعني، حتى أنا لا أطاوعني.

للحظات أغمض عينيّ وأفتحهما لأجد العمدة في ظهري وأنا أحمل السلاح  
وأنظر للفتاة.

مهلاً، إنها ليست الفتاة بل فتاة أخرى إنها زينب، زينب أختييا للهول!

ماذا يحدث؟

أين أنا؟

لحظات وعدت لوعبي مرة أخرى، ولكن لم يتغير شيء، القائد من خلفي يختفي  
وأنا أقف ساكناً، لا افعل شيئاً، بدأت الدموع تفيض من كلتا عيني إلى صعيد  
وجهي، استمرت رأسي في الاهتزاز وسقط السلاح من يدي

- كنت أحسب أنك رجل مخلص يمكن الاعتماد عليه .

- لا أستطيع يا سيدي لا يمكنني التحمل .

- لا تنظر إلى كونها طفلة صغيرة، انظر لها كيهودية .

- ليست لدي مشكلة مع اليهود، في ديني هم أهل كتاب .

- لكن هتلر لديه مشكلة .



كان هتلر حقًا مريضًا نفسيًا، أوفتي معقد، ليس للفتيات دخل هنا، ولكن مع اليهود.

كان هتلر من أسرة فقيرة وكان لديه أخوة مما أجبر والدته على العمل في منزل أثرياء يهود كانوا وحشيين لدرجة تعذيب والدته أمام عينيها، لم يستطيع أن يتحرك لكنه كتم في أعماقه.

لعن الحاجة ولعن الفقر ولعن اليهود، وكان يجب أن يتذوق اليهود لعنة هتلر، أباد وأحرق زقام بغزلهم عن البشر، وفي معسكرات ذاقوا الجوع والعطش، عذبهم بكل الوسائل والطرق، كان يتمنى وجود والدته لترى كيف أصبح ابنها مجنونًا كبيرًا، هتلر يصبح شيطانًا .  
ولكن اليهود ليسوا ملائكة .

ففي الوقت الذي يفعل فيهم الأفاعيل، كانوا يحضرون لما هو أسوأ، فعلى فلسطين الآن أن تذوق دواء هتلر لليهود .

- وهل هتلر هذا مبرر لقتل طفلة صغيرة .

- دعني أحضر مسلمًا صغيرًا، وأحضر يهوديًا في سنك، ونرى ماذا سيحدث، هؤلاء شياطين سيفعلون بك وبالغرب الأفاعيل، ألم تسمع يومًا عن وعد بلفور وما يخططون له؟

- إنجلترا من صنعته، وأنا أريد الانتقام منها بشدة، ولكن أرجوك لن أستطيع فعل هذا .

- مخالفة الأوامر العسكرية عقوبتها الموت .

- أموت إذن .

- لهذا الحد قلبك ضعيف؟

زفر غيدرينأنفاس الغضب بداخله، وصمت عبد البصير

- كما تريد عبد البصير، أنت لا تعلم ما فوته على نفسك من فرص، عد الآن لعملك وانتظر حتى تعرف مهمتك الأولى وأرجو ألا تفشل، لأنني في تلك المرة لن أرحمك .

تحول كابوس عبد البصير إلى حلم سعيد، هتلر الآن يحقق ما حلم به كلاهما،  
لقد بدأ في طرق أبواب بريطانيا العظمى، ليس طرقها وحسب بل تهشيمها  
وتفكيكها، فبعد سقوط فرنسا ومعظم أوروبا في قبضته لم يبق عدو قوى أمامه  
سوى بريطانيا.

لاحت طائرات هتلر كالكلاب الجائعة في الأفق، طور طيران هتلر مقاتلة أقوى  
من ستوكا وهي ( لوف توافا )، سيدة السماء الجديدة، الآن يستعد لقصف  
أرض المملكة، بدأت في قصف مدن بريطانيا ليلاً.

تضررت لندن كثيراً، كان شعبها على نحو من القوة، كانوا يبيتون في الأنفاق ليلاً  
ويذهبون للعمل نهاراً، سقطت المئات من الأرواح التي ترتدي البدلات  
والفساتين، وليس أصحاب الزي العسكري.

على العالم أن يتراجع امام سيدي الجديد بتاجه الدموى المزين، شعر هتلر بقرب

سقوط بريطانيا، أخيراً سىرى رئيس وزرائها تشرشل وهو صامت منكس الرأس  
يمضى اتفاقية الاستسلام لىسير هتلر بوجه عابس وقلب وعقل منتصر .  
زاد ولائي وإيماني بهتلر وقضيته، أخيراً أرى الإنجليز يىكون ويتعذبون مثلما عذبوا  
بلدي وأهليوأصدقائي، صحيح أنهم لم يستسلموا بعد ولكن الامر أصبح قريباً،  
يستعد الآن سرب من 10000 طائرة ألمانية للتحليق فوق سماء بريطانيا،  
يبحثون عن الأهداف الحيوية كحيوانات منوية تبحث عن بويضة، بينما  
استعدت بريطانيا لمعركة فاصلة في تاريخها خرج تشرشل بالعبارات الحماسية :  
- سنحارب في المدن والقرى والشوارع والأزقة .

- ستعيش هذه المملكة لآلاف السنين، ولو سقطت فسيقول الناس أن تلك  
كانت أفضل أوقاتها .

تجهز سرب من طائرات بريطانيا الجديدة الماركة ( سبيت فاير ) كانت اسماً على  
مسمى، استطاعت الدخول في معركة جوية فاصلة أمام الطيران الألماني لتسقط  
منها 500 طائرة، بينما أسقطت لهتلر أكثر من ألف طائرة أصبحت السيادة  
الجوية والبحرية لبريطانيا، كما أن الحليف الأمريكي لا يزال يزودهم بكل ما  
يحتاجون إليه .

شعر هتلر بخيبة الأمل كانت تلك أول مرة ينهزم فيها، كل معركة كبيرة كنتلك  
كان ينتصر إلا هذه .

لكن خطته لا تنتهى، ولكن أعتقد أن الهزيمة قد أطاحت بعقله إلى الأبد فلا يوجد شخص عاقل قد يفكر فيما يفكر فيه، سيفعل ما أقدم عليه ( نابيلون بوناپرت ) سابقًا ولم يقدر عليه فكيف سيقدر عليه هو؟  
إنه الجحيم بعينه .

منتصف شهر يونيو من العام 1941 في الـ 4 صباحًا من بين ظلام وصمت المعسكر إلا من مهمات حراس المراقبة، انطلقت صفارات الإنذار كصيحة فزع.

اليوم الموعود !

هب الجنود من أحلامهم السعيدة والمثيرة لواقعهم المشؤم، وفي حدث لم يحالفه الحظ في دخول موسوعة جينيس للأرقام القياسية حيث معسكر بأكمله يرتدى ملابسهم ويتجمع في ساحة في حوالى أقل من دقيقة كخلية نحل، وشع نور غيدرین في الجنود أو بالأحرى نور سيارته، الذيأبلغهم بالتحرك من الجزيرة وأنه سيترك قائدًا وحوالي ربع الجنود وباقي العمال لإتمام أعمالٍ وحراسة الجزيرة. ولكن طبعًا كان عبد البصير ممن سيذهبون إلى ما لا يعرف أحدا هو، ارتدوا كامل ملابسهم، أخذوا سلاحهم وذخيرتهم والمؤن، كان عليهم الإسراع فالسفينة التى ستقلهم إلى ما لا يعرف أحدا هو ستأتى بعد ساعة من الآن .

أتم الجنود استعدادهم، بالتأكيد لم تخلو الجزيرة في هذا الوقت من الجنود والتخيل والإشاعات التي انتشرت كالهشيم، البعض أخرج نظرية علمية بأنهم سيقومون بشن حملة كبيرة على بريطانيا، وأنهم مجرد زوج في قطع خنازير برية في هذا الهجوم، وهو ما أعتقد، ونضم لهم في رأيهم عبد البصير، والبعض صرح المقولة بأنهم سيهاجمون الهند أو أسبانيا ولكن سرعة الاستعداد لم تمهلهم الوقت ليفكروا في المفاجأة غير السارة القادمة .

السفينة تلوح في الأفق، ودع عبد البصير زملاءه وآخر من تبقى له من ذكرياته الحزينة، ولكنه لم يشأ أن ينساها بعد، إلا بعد أن يأخذ حقه. استمرت ذكرياته كالخطب الذي يشتعل في حريق قلبه ولكنها لم تكن سوى مجرد نيران صديقة .

اعتلينا الآن قمة السفينة البحرية، وضعت كل شعارات هتلر فوقها، فقط كان ينقصها شارب هتلر القصير.

بها تشكيكه من أجود أنواع مزهقات الأرواح، من مدافع وأسلحة ضخمة كتين معدني برمائي، شرعت في التحرك وبدأت تبتعد عن الجزيرة شيئاً فشيئاً، أنظر لها من بعيد كحبة رمل فقدت لونها الأصفر ومالت للأحمر، لتظهر بشاعتها

المختبئة وراء شواطئها وأشجارها الخلابة، ولكن لقد جاء للجزيرة وهو مجرد عبد واليوم يغادرها كملك، ابتعدت حتى اختفت ولم يبقَ منها سوى ما رشح في ذاكرته، وبمجرد الاستقرار على السفينة واستلام الجنود وسائدهم وغرفهم، خرج عبد البصير ليلاً من غرفته واتجه صوب مقدمة السفينة ليجلس أمام البحر الأزرق نهاراً الأسود ليلاً كثقب أسود في فضاء خالٍ، لحظات من الهدوء والسكينة لم يحصل عليها من زمن بالرغم مما هو مقدم عليه ولا يعرفه.

بعدها قطع الهدوء صوت بياذة جيش في قدم غيدرین، انتبه له جندي هندي فقدم له التحية النازية برفع يده اليمنى لفوق بينما جلس الآخر مكان عبد البصير وظل هو واقفاً:

- أتعلم عبد البصير؟ اللون الأسود يعطى بريقاً وعظمة للبحر أكثر من اللون الأزرق .

- ولكنه أيضاً يضفي عليه بعض الخوف وعدم الوضوح .

- البحر نهاراً مكان للحمقى والعامة والكشاف يجلسون أمامه لبعض الحب والتأمل والبلاهة، أما ليلاً فهو للرجال فقط، هل سمعت يوماً في حكاية أو قصة عن بحار قارعوا البحر نهاراً؟

- سيدي هل لي أن أسأل إلى أين نتجه وماذا سنفعل ؟

- أعتقد أننا سنذهب لفرنسا ليصنع الجيش الألماني بعض القهوة أمام برج إيفل والعودة مرة أخرى .

- عفواً سيدي على سؤالي .

- عبد البصير أنا أحبك لكائك، لا تشعرني بالخزي تجاهك.  
مط شفتيه في غضب شديد ولكنه ظل منحنياً أمام غيدين .

- أعتذر لك يا صديقي، أريدك فقط أن تعلم بأنه بتحركنا هذا فنحن ذاهبون لنصر ألمانيا، لا يهم ماذا سنفعل أو ما هي مهمتنا وأيضاً لا يهم أين سنذهب، عليكم فقط الاستعداد والتفاني فيما ستفعلوه، عليكم فقط الولاء للقادة ولكن لا تتفانوا أكثر من اللازم.

- ما أهمية القادة، لا نراهم سوى بعض نزلاء دار مسنين.

- أتعلم لماذا يرتدى القادة في الحروب ملابس جنود؟ وأن الجنديان سقط في أيدي الأعداء فأقصى معلوماته هو عدد حصص الطعام التي يتناولها .

أما القائد فهو يعرف حتى مقاسات ملابس جنوده الداخلية، لو مات عسكري على رقعة الشطرنج فهذا لن يؤثر كثيراً على مجريات اللعبة ولكن لو سقطت أحجار القلعة أو الحصان فالملك سيكون في مأزق كبير .

- ولكنني حتى الآن لم أخض حرباً حقيقية، كيف سأعمل بمفردتي ؟



-استمع إلى جيداً،أيا عبد البصير في كلماتيهذه.

الحرب لا تقبل القسمة على اثنين .

روحك أمام روح أخرى .

في الحرب ستتألم وستبكي فتنوح كالنساء.

في الحرب ستضحك وترقص فستقاوم كالجبال .

في الحرب ستندهش وستندم فستسلم كالفئران.

الحرب عبارة عن غضب وفرح وأمل وضعف ومقاومة وهزيمة وسعادة وحزن  
وأشلاء مبعثرة وجثث متفحمة وصديق مقتول وحبيبة مجروحة وأطفال مشردين  
.

- أخشى أن أسقط في بداية المعركة .

- لو سقطت سيبارك الرب روحك، ولكن إن ظلت تقاوم فاحرص على ألا  
تصل روح أعدائك للرب .

- هل نحن على حق ؟

- لا أعرف، عندما سأذهب للرب سأسأله، ولكن في النهاية هم من أعلنوا الحرب أولاً، ولكن يبدو من اتجاه السفينة أننا لسنا في اتجاه بريطانيا بل نتجه نحو الشرق .

- الشرق! وماذا نفعل في الشرق ؟

- يبدو أن رياح هتلر ستهب على أرض ستالين .

- ستالين؟ ستالين! أتقصد أننا سنذهب للاتحاد السوفيتي؟

- دائماً يدهشني هتلر بذكائه، ولكن أن نواجه بريطانيا بضرب روسيا حقيقة لا أعرف فيما يفكر هتلر، في داخل الجندى يبدو أنه سيحرق العالم وسيحرقنا معه .

لم يشفع للاتحاد السوفيتي أو ستالين أنهم كانوا أنصارًا لهتلر، ويمدونه بالحديد والسلاح والقمح، ورغم وصول إشارات تحذير لستالين قائد البلشفيين بهجوم هتلر من جواسيسه، إلا أنه لم يصدق حتى الثاني والعشرين من يونيو عام 94، في 7 صباحًا تقريبًا تحرك ما يقرب من 6 ملايين جندي بينهم عبد البصير وبضع الاف من الطائرات والدبابات والمدافع والشاحنات، لا يكذب من يقول أنه أكبر غزو في العالم لاقتحام أكبر قوة في العالم تحت مسمى عملية باربروسا الإمبراطور الألماني الذي عاد من سباته ليستعيد أمجاد ألمانيا وهتلر الضائعة.

وضعت للعملية ثلاثة أهداف، ليننجراد وموسكو وأوكرانيا، سيخوض الالمان حربًا على جبهة أكثر من 3000 كيلو، تحرك الجنود من الحدود الألمانية واخترقوا الحدود الروسية إعلانًا لبدء أكبر عملية في التاريخ، سار عبد البصير وسط زملائه يرددون الأغاني الحماسية في الطريق .

نتجهالآن نحو الشرق

نحو الأراضى الروسية

احملوا أسلحتكم أيها الزملاء

سيكون النصر حليفنا

من فنلندا إلى البحر الاسود

تقدم تقدم

تقدم أيها الجيش المهاجم نحو الشرق

الحرية هى هدفنا

النصر شعارنا

أعطنا الأوامر أيها الفوهرر

سوف نتبعك

على الفتيات الانتظار

فنحن ذاهبون لنحارب

الجميع كانوا يتلون الأناشيد سعداء، الحماس ازداد بنسبة كبيرة، لكن هذا لم يمنع  
الخوف القابع في صدورهم خلف قضبان أقفاصهم الصدرية، لم يذهب  
أحد لروسيا وعاد منتصرًا!

هذا في حالة إن عاد أصلًا!

الاتحاد ليس دولة بل قادة كبيرة تحركنا مئات الكيلوات بدون وجهة، نخرق  
أراضٍ شاسعة على طول الطريق، لم نجد سوى مقاومة بسيطة، لم يتوقع  
البلشفيون تحركنا بسرعة، كانوا يملكون سلاحًا واحدًا لكل أربعة رجال، أسرنا  
كتائب بأكملها، لاح النصر في الأفق، ولكن لا تنتهي الحروب بتلك السهولة،  
فنحن نسير في طرق غير ممهدة، كانت الإمدادات تصل بصعوبة، وعندما  
نقترب من قرية كان الفلاحين يحرقون كل شيء، اتبعوا سياسة الأرض المحروقة  
بأوامر ستالين، لن يتركوا لنا بيتًا أو طعامًا أو شرابًا أو ماوى، لن نحصل على  
غنائم، لن نجد سوى الرماد الذى أصبح يلون كل شيء أمامنا، والروس يبتعدون  
بالقطارات ناحية جبال الأورال .

وأخيرًا نقترب! وصلنا لحدود مدينة السموليك، آخر مدينة قبل موسكو عاصمة  
الجانب الشرقي من العالم، وفي خلال ثلاثة أسابيع خضعت لنا المدينة بالكامل،  
ولكن الطعام أوشك على النفاد، زاد القلق من أن يُقضى علينا بالجوع بدلًا من  
رصاص الروس، أعطى هتلر الأوامر بالهجوم على أوكرانيا للحصول على القمح،

ولكن لم نخض حرباً هناك عاملنا الأوكرانيون جيداً، كانوا يكرهون ستالين والروس.

الظلم قادر على جعلك تكره كل ما تؤمن به وتحيا عليه.  
اعتبرونا محررين ومنقذين، ولكن القيادات الحكيمة استعبدت الأوكرانيين حتى الموت وكان الموت ينتظرنا نحن أيضاً .

أخيراً انتهت الماكينة الألمانية من سحب خير أوكرانيا من الطعام والشراب، الآن نستطيع الرحيل بعدما أهينا كل شيء .

بل واستعبدت القيادات الأوكرانيا الذي توسمت خيراً في الألمان وأنهم سينقذوها من بطش ستالين، الآن نستطيع إكمال طريقنا نحو موسكو بضمير راضٍ وسعيد، قطعنا الكيلو فالآخر بسرعة أسد إفريقي ولكن كان للطبيعة كلمة أخرى.

لقد بدأ الخريف ولكن خريف روسي ليس كخريف آخر، لقد قصفتنا السماء يومياً بوابل من الماء البارد، ولكن ماذا تفعل الماء أمام اضخم جيش في العالم ؟

لا، سوف تفعل. لقد استقبلت الأرض هدية السماء، وامتزج الماء بالتراب مكوناً جبلاً من الطين، لقد كان الطين أخطر على ألمانيا من روسيا نفسها، مثلما كان الطين البالي سبب قيام الحرب وكل مشاكل الأرض منذ يوم خلق الله الطينة الآدمية آدم عليه السلام.

لقد أعاقَت المياه حركتنا، لقد تباطأت السيارات، ثم توقفت دبابات ألمانيا، خرت سريعاً أمام الطين، قلت سرعة الجنود، أصبح الجندي القادر على حمل قدمه من موضع ليتحرك لموضع آخر بطلاً يجب تكريمه على ساحات المنايا، شلت الحركة تماماً، تركنا الأغراض الثقيلة، أصبحنا نجتاز مسافات قصيرة يومياً، ولكن هذا أيضاً لم يساعد الإمدادات على أن تصل، ولكن يجب أن نصل إلى موسكو بأي شكل، أصبحنا على هذا الوضع طوال الخريف، كنا نظن أن هذا أخطر ما سيحدث ولكننا سبقنا الأحداث .

زحفنا إلى موسكو، الخريف سينتهي، وهدأت الأمطار أخيراً، ستنتهي الحرب قريباً، سنسحق روسيا كما سُحقت أوكرانيا وليننجراد التي قضى حصار الطعام والقصف المدفعي على آخر نفس مقاومة لديها، ولم يبقَ سوى العاصمة موسكو، وعندما يضع هتلر يده على روسيا وخيرها سيحكم العالم قريباً .

"سيبارك المسيح أرواحنا

سيغمرنا بالرحمة والمغفرة

ستنمو أزهار الياسمين والنرجس فوق قبورنا

سيزين الصليب الأبيض قبورنا

ولكن أي صليب سيعلق؟ صليب الرب أم صليب هتلر المعقوف؟

كيف للرب أن يرحمنا ونحن قتلة؟ قتلنا حتي القساوسة، هשמنا صليباً وحرقنا  
الأيقونات، رأيت صور المسيح تحترق ولم أحرك ساكناً.

سيحرقنا الرب بنار السماء عقاباً علي نار الأرض التي أشعلناها

حتي صليبنا معقوف

حتي الصليب لم يسلم منك يا هتلر"

يقال بأن الشخص لحظة موته يقول الحقيقة؟



كانت هذه آخر كلمات نطق بها جندي ألماني رحل في أواخر الأربعينات، لا

اعلم ما مؤهله ليتحمل معاناة كتلك؟

فخذه مترهل، معدته كمنطاد هيليوم

مواصفات تليق بطاهٍ وليس محارب.

حبس العديد من الجنود في العيادة دموعهم، دموع مجهولة الهوية، أشفقة أم

خوف من مصير مشابه من رصاصة تنهي كل شيء؟

والوضع الراهن يدعم المقولة الثانية لأسباب عدة:

1- وصول درجات الحرارة لما يقارب 40 درجة تحت الصفر.

2- أرض قاحلة تمتد لآلاف الكيلومترات دون نهاية.

3- جيش متواضع قوامه جنود بدرجة فلاحين وعمال.

4- سقوط الآلاف من الجيش ودفنوا تحت الثلج.

نستنتج مما سبق موت أكيد وهزيمة وشيكة.

عجبًا لهذه الحرب، قادة في قلاع وحصون يحيون الجنود وهم خارجون للحرب،

فيعود ماتبقي منهم إما جرحى وإما مشوهون، وأيضًا يؤدون التحية، تغيرت

حال الجنود ولكن القادة لم يتغيروا، ولم تחדش حتي قلاعهم لا يهتمهم فقط  
سوى أن تؤدي التحية لهم.

في تلك اللحظات وصل قائد الكتيبة ومعه الطبيب المشرف، استعدادا لخطبة  
رنانة مكررة مملّة:

"أبناء ألمانيا وجنود هتلر، نعلم أننا نمر بظروف عصيبة، ولكن النصر وشيك،  
قريباً ستسقط روسيا ويسقط اتحادهم، وسنسود العالم سنضعف نحن حتى لا  
تضعف ألمانيا

سنصاب نحن حتى لا تصاب ألمانيا

سنموت نحن حتى لا تموت ألمانيا"

ألمانيا أم هتلر؟ ألا يوجد أحد دقيق في كلامه؟

وبأذرع أصابها الوهن أدينا تحية هتلر

-الدكتور غيمن يريد إعلامكم بتحذيرات

-من الآن فصاعداً يمنع على أحد تغيير ملابسه لأي غرض، حتى الاستحمام،  
حتى وإن أصابكم القمل والطفيليات.

في حالة الإصابة بأمراض الإسهال عليكم بصنع ثقب في البنطال.

احذروا، من سيخلع بنطاله سيموت علي الفور متجمدًا.

حاولو تسخين الطعام كثيرًا، ولا تاكلوا طعامًا باردًا.

هذا لسلامتكم والآن استمعوا للقائد:

—أحمل لكم أنباءً سارة، أردت قولها في النهاية صدر أمر لكل الكتائب للتوجه لمعقل صناعتهم، من اليوم سنزحف لستالينغراد، وصدقوني ستنسيكم الحرب آلامكم.

الحرب لا تُنسي الألم، بل تزيدها خاصة لو كانت وجهتك ستالينغراد.

ولكن كنا في حاجة لحرب، حرب تشعل الحماس الذي أطفئه البرد.

أردنا التخلص من الأغشية الصوفية وأن نمسك البنادق، إما أن نتصر فتشعل نار القنابل الحارقة لنقهر البرد، وإما أن نموت فينتهي ذلك العناء للأبد.

\*\*\*\*\*

إنها تلوح في الأفق، بأبراج مصانعها ومنازلها، جزيرة بيضاء وسط  
بحر أسود، ولكن ليست لناج واحد، ولكن لركاب سفينة عملاقة  
أغرقها قبطانها، لأنها أراد مسابقة حوت أبيض في سباق سرعة.  
سنهجم عليها بكل قواتنا، سنهاجم كسكان جحيم حصلوا علي زيارة  
ليوم واحد في الفردوس، سنهاجم كقطيع أسود وجد قطع لحم بأسعار مخفضة،  
ولن نقلق فلحمهم حلال وبأرخص الأسعار، سنبيد بعض الرجال والنساء  
والأطفال حتي الشجر والجماد.  
عليهم أن يدفعوا ثمن الرجال الذين فقدناهم، كيف لهؤلاء الحمقى أن يجعلوا  
شتاءهم باردًا بهذا الشكل؟  
لم تكن سوى مسألة وقت، اجتحننا المدينة الصناعية، دمرنا أبراجها، وقتلنا  
سكانها، لم نرحمهم، ولا مفر، سيجدوننا في البر والبحر والجو.  
ومن لم يمت برصاصنا قام الجوع بالواجب، ألم أخبركم؟ ألم نفرض

عليهم الحصار؟ منعنا دخول حتى الدواء؟

كنت أستطيع رؤية الأطفال الذين قتلهم الجوع، والرضع الذين فرغت  
أثداء أمهاتهم وهم ييكون .

حتى الموت، كم كان صوتهم يسعد جنرالنا أكثر من جمل معزوفة  
لبيتهوفن، وقريبا سنفعل في موسكو نفس الشيء

ماذنبهم ؟

ذنبهم أنهم ساعدوا إنجلترا، كما لم يكن ذنبي أو ذنب أصدقائي.

نعم، أعلم أنا لست عبد البصير.

لقد مات عبد البصير، والآن لا يوجد سوى عبد البصير هتلر.

المخلوق الهجين، مصري المولد، هتلري الجنسية.

لقد أصبحنا أنا وهو شخصًا واحدًا.

نرى نفس الشيء ونحلم بنفس الشيء.

لن يحكم العالم بمفرده، سنحكمه سويًا.

مثلما وقف هو يومًا يؤدي التحية لملوكه، سيقف من أجلي الملايين في ساحات  
برلين وباريس ولندن وموسكو.

لن أقول شيئًا، ولن يقولوا هم شيئًا.

سيرفعون أيديهم فقط، ويؤدون التحية من أجلي.

سيقولون فقط (هايل عبد البصير)

وبينما أنا غارق في أحلامي، انقلب الأمر رأسًا على عقب.

لقد عاد الروس للمقاومة، لم يستسلموا بعد، ليست فقط سوى حلاوة روح  
لبقرة مذبوحة تظن بتحريك جسدها أن الجزار سيبتعد، هو فقط ينتظرها حتي  
تصفي وتنتهي ما لديها.

سنعتبر أنفسنا في تدريب ليس أكثر.

الوضع يتغير، نقابل الآلاف مسلحين، الآن وصلتنا أنباء أن الروس

حرروا أوكرانيا من أيدينا واستعمروها هم، كل ما حققنا من مكاسب

تذهب حتى المدينة التي حاصرناها اكتشفنا أنهم نقلوا مصانع السلاح

والذخيرة بعيدًا عنا.

لم نهاجم سوى كتل حديد فارغة، كل ما فعلنا أننا أبدينا بعض المدنيين العزل،  
والذين لا تساوي حياتهم شيئاً بجانب مصانع السلاح الأكثر أهمية بالتأكيد.

لقد جعلوا النساء تعمل سخرة في تصنيع السلاح عوضاً عن المحاربين. ضاعفوا  
إنتاجها 3مرات، وفي المقابل مات العديد من النساء من الإرهاق، وهذا لا يهم  
فمن السهل جلب غيرهن!

إذن هم أيضاً سفاحون، ولكنهم يقتلون أبناء الشعب المكلفون بحمايتهم.

السؤال، هل شاهدت أقدر من هؤلاء؟

ولكن تضحياتهم لم تذهب هباء، لقد أمطرنا ستالين بوابل من أيقونته

العسكرية (اورجان ستالين)، مدفع صواريخ نشط يضمنا للقضاء على 99.99  
بالمائة من الأعداء مع عدم إبقاء أشلاء لهم.

لضمان فعالية أفضل، أضاء السماء فوق رؤوسنا، أسقط المزيد من الآلاف من لم  
يقتله السلاح ترك له بصمة ليتذكره بها، رأيت وجوه الجنود تنصهر من  
الإصابة، وكنا نجمع القتل علناً أربع مرات.

حتى بدأت المعركة الأخيرة، ولكن أصبحنا المحاصرين، أطبقوا علينا من كل  
جانب، كنت أضرب بذخيرة مسدس وبعدها أحمل بندقية رشاشة وبعد قليل  
أحمل قبلة يدوية، أعدادهم تفوق السحاب، لم أجد سوا أشلاء أسفلي وأصدقاء

يحاربون بوجه مرتعد، لم أبرح حتى وجدت فيلقاً من جنود يقتربون، وقد قتل أحدهم.

زميل عزيز، لم أتمالك نفسي، أخذت سلاحه وسددت وابلًا من الرصاص تجاههم ولم تخب رصاصة في الوصول لصاحبها، ولكن الأعداد لا تنتهي حاولت الابتعاد قدر المستطاع، وجدت ذراعي تستقبل رصاصة، شلت ذراعي! ربطت الجرح واستكملت، كنا نحارب على وعد من هتلر بوصول المدد لنجدتنا.

صدرت لنا أوامر بالانسحاب، لا يمكننا الاستكمال أكثر، علينا الحفاظ على حياتنا.

وجدت السيارة المدرعة أمامي، أمنا الانسحاب، تراجعنا بشكل تكتيكي منظم، ولكن هل هذا يمنع القدر؟

أخيراً أنا على باب السيارة، وجدت صديقاً أصيب بقدمه ولا يتحرك، هل أحضره أم أتركه؟

لا، لن أترك أحداً أعرفه يعاني بعد الآن، أسرعنا أصب ناراً في كل اتجاه، حملته وتركنا السلاح لم أشعر سوى بصوت جندي سوفيتي مصاب يخرج قنبلة من جيبه ويسددها نحو السيارة، لن يترك حقه هو الآخر.



ألقيت بالقرب مني، لم أشعر سوى بظهري ينسلخ كدجاجة في فرن .

أقبل الأصدقاء نحوي، أصبحت أُحمل بعد أن كنت أنا الحامل، لم

أعرف ماذا حل بصديقي الآخر، لم أشعر سوى بصوت بعوضة تطن.

وجوه نحوي وشفاه تتحرك، ولا أعلم ماذا تقول!

سواد يشتد أكثر وأكثر .

بقايا مدينة، وبقايا شخص.

لا أعلم ماذا حدث بعد ذلك، رحلت لمكان آخر وأنا في مكاني.

كل ما أذكره، ألا تقلقوا، سنرسل لكم مددًا ولم يأتِ مدد.

تركنا ما يقرب من 25 مليون ضحية كهدية لروسيا ولل البشرية

حول بطولتنا العظيمة، أما أنا، فأنا لا أعرف أي شيء الآن.

\*\*\*\*\*

لماذا شاخ وجهك بني؟

ما الذي حل بك؟

وأين تذهب ؟ أهكذا تقابل والدتك بعد غياب سنوات؟

انتظر، لا تذهب، أين اختبئت؟ هل تريد لعب الغمضة معي؟

ستختبئى ولكنك ستعود لأحضانى عندما تخاف الوحدة، ولكن مم أنت خائف

الآن؟ عب عبد عبد البصيرrrrrrr!!

أستغفر الله العظيم وأتوب إليه

-أمي! أنتِ بخير أمي؟

-لا تقلقي نأمن أنتِ

-مازلتِ تنتظرين عودة من ذهب؟

-أنتظر من غُدر به.

-ماذا تقصدين؟

وبينما الأم والصغيرة تتبادلان الحديث في وقت لا يستقيظ فيه سوي الديكة، ولكنه كان يومًا مختلفًا.

- لا تشغلي بالك بما أقصد، ونامي الآن.

- ولد دددي

وفي بيت آخر

- ولد دددي

بيت ثالث

- ولد ددي

قامت البلدة مفزوعة من صياح متكرر، غطى صياح الديكة المستاءة، فتحت الأم الباب وخلفها عينان تتابعان بخوف ما يحدث.

لم يكن سوى عمدة ومأمور وعدد كبير من عسكر الجيش يسحبون شبابًا لم يجاوزا الخامسة عشر في عربة مدرعة.

أمهات مذعورات وآباء لا حول ولا قوة لهم ولا أحديفهم ما يحدث!

لم تتمالك الحاجة أعصابها، وجدت نفسها تذهب لكتلة لحم لقبها عمدة

- البأين تأخذون كل هؤلاء؟

-لا شان لك يا إمراة، لاتقلقي هم لا يريدون ابنتك.

-وابني هل يريدونه؟

صمت العمدة ولم يعقب ثم استكمل

-إنهم يريدون متطوعون لمساعدتهم فحسب

-وهل هذه معاملة متطوعين أم أسرى؟ تريدون إرسال أطفال لتحارب !

تقول متطوعين وهم لم يخرجوا من بيوتهم متي تطوعوا؟

-إنها أوامر ملكية، سيذهبون للدفاع عن أرضهم، هتلر يحاول دخول الحدود

وهو الآن قريب من العلمين، لو احتللنا سيدمرنا،أهذا الحد لا تهمكم البلاد؟

-سيدافعون عن البلاد أم عن لصوص البلاد؟ سيحتلوننا؟ألم يخبرك أحد أننا

محتلون فعلاً، ولكن كيف والإنجليز أولياء نعمتك!

-اصمتي يا حشرة وإلا دهستك؟

-حق ولدي لن يذهب سدى يا كلب السرايا.

-لا تقلقي، سأرسلك إليه، ونسيت إخبارك الحكومة تريد إرسال مدد طعام

لجنودنا ويريدون أراضٍ وأنا لا أجد أرضاً خيراً من أرضك.

-سأجعل هذهالأرض جنة لا تطؤها قدم شيطان مثلك.

عادت الحاجة لمنزلها تداري دموعًا قوية أخفت بين طياتها عزيمة وضعفًا في نفس الوقت، تحسست سكينًا احتفظت به لثأر ولدها، تشعر الآن بأنه حان وقتة لتكشر عن أنيابه.

في نفس الوقت الذي مات فيه شباب على أرض العلمين بغرب مصر وبعض البشوات يدعون لهم بالرحمة أمام خزائن البلاد، في الوقت الذي تعاظم فيه حب البلاد لدى المصريين ولم يكن علماء سنتهم سوى (إلى الأمام يا روميل)

.....

ما كل هذا الصداع ولماذا تدور رأسي هكذا؟

أخيراً أفقت من غفلي، أشعر أنني أغفلت طويلاً، جيد أنني لم أمت بعد

ولكن لماذا المكان هنا ضبابي؟ أنا بالكاد أرى يدي! ها أين هي؟

-مازلت تقاوم بعد؟

-من أنت؟ ومن أين تتكلم؟ ولماذا صوتك يشبه صوتي؟

-حقاً لا تعرفني؟

ولاح من الأفق كضوء أسمر ساطع

-أنت تشبهني تماماً!

-قد أكون شبيهاً لك، ولكن لا يشرفني أن أكون أنت.

-من أنت إذًا؟

-عبد البصير السيد إمام.

-أنت أنا إذن!

-قلت سيد إمام وليس أدولف هتلر.

-هل أنت صوت ضميري الأحق؟ جاء ليرشدني لطريق الصواب؟

-الضمير للبشر وليس للحمقى!

-وهل ضميري أسود هكذا؟

-كنت أسود اللون وأبيض القلب.

-كنت أحمق.

-كنت على الأقل إنساناً وليس حيواناً.

-إنسان مجنون، إنسان ساذج، كنت أتعرض للإيذاء وأصمت، ماذا فعلت لتلومني؟

لقد سُرقت مني حبيبي، وسُرقت أروحي وعائلي وخسرت نفسي، عذبت وشردت، وقُتل أصدقائي أمام عيني، أين كنت؟ وماذا فعلت؟

كيف لي أن أدهس ولا أخرج صوتاً؟ كيف لي أن تشعل ناراً بجاني ولا أحترق؟

لا أريد أن أكون الأحمق، أريد أن أكون هتلر، هتلر الذي يأخذ حقه، هتلر الذي يخشاه الجميع، هتلر الحاكم القادم للبشر، هتلر ليس شخصاً، هتلر هو فكرة، هتلر عقيدة، هتلر إله!!!

-وهل أنت الآن إله؟ هل ستنصب علي عرش العالم قريباً؟

كل ما فعلته أنك لطخت يدك بالدماء، قتلت رجالاً ونساءً وأطفالاً.

هل أنت فخور بنفسك الآن؟

هل هكذا استرددت حبيبتك؟

هل هكذا استعدت أرضك وعائلتك؟

هل زينت رأسك بإكليل النصر؟

أنت الآن مجرد مسخ.

-انتظر، إلّا أين تذهب؟ أخرجني من هنا.

-أخرج نفسك إن استطعت.

-انتظر انتظر انتظر انتظر انتظر انتظر!

ها قد عدت للعالم الحقيقي، ارحل يا أحمق لا أريدك.

ولكن أين أنا الآن؟

ما هذا؟ أنا في مشفى في ضواحي برلين!

ولكن لم أنا هنا؟ العبارات ألمانية، الخطوط ألمانية، الأجواء ألمانية.



أيعقل أن الجنود نقلوني من روسيا حتى هنا؟ وهل بتلك السهولة خسرنا من الاتحاد السوفيتي؟ وكم من الوقت وأنا مصاب؟

ولكن كان هناك أسئلة كثيرة، لماذا المشفى فارغ؟ ولماذا مدمر من أعلى؟ وما كل هذا الدمار الذي حل بالمدينة؟

لولا اللغة والتصميم المعماري لما صدقت أنني ببرلين، وأين البشر؟ هل أصبحت مدينة أشباح؟ ولكن السؤال الأهم والذي طرحته في الحلم أين كفي الأيسر؟

هل أصبت في المعركة؟ هل أصبحت ذراعاً؟ كيف سأكون بجيش هتلر بتلك الإصابة؟ وما تلك الملابس التي ارتديها؟

هل خرجت من حلم لأدخل حلمًا آخر؟ هل تلك أسوأ أحلامي أم أفزع كواييسي؟

خرجت لأجد الحطام، كل شيء انتهى ودمر، قابلت في طريقي جنديًا علامات الفرع ستقفز من وجهه، لم يقل سوى شيئًا واحدًا:

-انجُ بعمرك!

بعد تلك الجملة أدركت النهاية، اختبأت وعلمت كل شيء، علمت كيف سقطت إيطاليا وأعدم موسيليني، كيف دخلت الولايات الحرب، كيف انهزمت

النمسا والمجر وكل المحور، كيف أن الروس قادمون لزيارتنا ليردوا تحية هتلر صاعين بدلاً من صاع، كيف عادت فرنسا، وكيف تحاصرنا أمريكا من الغرب، علمت أن الروس اقتحموا حواجز الدفاع وأطلقوا أكثر من مليون قذيفة مدفع في أول يوم من الغزو.

تمثل كل هذا في شيء واحد، كيف اقتربت النهاية؟

تحصلت علي مسدس من جثة هامدة، أقسمت علي الدفاع حتى الرمح الأخير، هكذا ميت وهكذا سأموت، ولكن كل شيء توقف عندما أدركت النهاية وأن هتلر رحل للأبد!

أذكر أنني أخبرتكم بكل هذا في البداية!

وضعت مسدسًا على رأسي لأضع كلمة النهاية، حتي صوت إطلاق النار ولكن لم يكن أنا بل الروس الذين طالبوني بالاستسلام.

أدركت للحظات أنني مازلت مسلمًا وأن انتحاري كفر، يكفي ما فعلته سلمت نفسي لهم، على كل حال سيقتلوني لا محالة، ولكن الفرق أنها ستكون محاكمة سريعة ولن تذاغ للعالم ليشاهدوا الحلفاء المسلمين يعيدون للعالم سلامه الضائع.

الوضع سيكون مريعًا وسريعًا، قاتل منتصر يحاكم قاتلاً مهزومًا.

لن يرفق به ولن يرحمه، سيدينه ببعض الجرائم الشنيعة المضاف عليها نكهة  
العدالة الكاذبة.

وكما قلت سابقاً رصاصة واحدة تنهي كل شيء.

عبد البصير سيسجن قليلاً ولكن سيموت سريعاً.

أتحرك الآن وسط موكب مهيب، عزيز قوم يُذل.

أعطيت وجهي لحائط خضبته دماء كانت تظن نفسها أرقى من البشر، سدد  
الروس فوهات الرشاشات تجاهي.

كم أنا سعيد الآن! ولكن حتى السعادة لا تدوم.

—أوقفوا الحكم وسلموه للقيادة لإخلاء سبيله!!!

أمي الغالية

أكتب لكِ الآن من ظهر سفينة بريطانية، هل تصدقي هذا؟ أنا عائد لمصر خلال يومين، كان من المفترض ألا اكتب ولا أركب ولا أعود، كل شيء تغير في لحظة واحدة، فبعد توقف الحكم نقلوني للقيادة، وجدت القائد يهنئني أنني ما زلت حيًا ولم أشكره على التهئة، ليس لأنني كنت أريد الموت، ولكن لم أفهم لغته الروسية، ويعتذر لي وأخبرني بجملة سمعتها من قبل كانت سبب موتي وحياتي

"وجدنا اسمك مدرجًا تحت الخدمة العسكرية البريطانية"

عودًا لمكاني الطبيعي، أنا واحد من الحلفاء، والحلفاء لا يقتلون بعضهم فقط يدمروهم

-عزيزي المسكين ماذا فعلوا بك؟ من المؤكد أهانوك وعذبوك كي تساعدكم، ولكن لا تقلق سنعيدك لي مصر قريبًا، أنت بطل الآن.

ليتهم يعرفون حقيقتي ويقتلونني.

مكثت في ألمانيا أسبوعًا حتمًا لحقوني بسفينة متجهة صوب مصر.

مكثت أراقب الألمان أو من تبقى منهم.

أمي الغالية

وجدت هناك نساء لا يقلون عنك، يصنعون الطعام، ثم ينقلون الحطام من فوق منازلهن، وجدت أطفالاً يجلسون فيما يشبه مدرسة ليحصلوا على العلم، وجدت رجالاً كواهل ينسون آلام الغضروف والضغط، ويشرعون في العمل مكان الشباب الموتى الآن.

وجدت شعباً يريد العودة للحياة، لا يبكي على ماضيه، بل ينتظر حاضره لقد تركوا اللبن المسكوب، وأخذوا في تربية البقر لصنع لبن آخر، هل هذا هو الحال في بلدنا الآن؟

كل ما حدث أن العسكر طردوا الملوك، ولكنهم سكنوا في قصورهم الذهبية، وارتدوا حريهم وأخذوا ألقابهم حتى سطوتهم لم ينسوها.  
أمي الغالية ،

الحرب دمار، الحرب هزيمة للمنتصر والمهزوم، الحرب لا تقتل السياسيين ولا التجار ولا أصحاب الذهب، الحرب تقتل البسطاء فقط، طوال الحرب لم أجد وزيراً أو زعيماً أو رئيس قضاة قتل، وجدت فقط أموالهم تزيد وبطونهم تمتلئ.

أمي الغالية،

قد لا أعود في القريب العاجل، هناك أشخاص وقفوا بجانبني، أريد أن أرد لهم عرفانهم الذي لم أستطع رده سابقًا.

-عبد البصير عبد البصير !

-ماذا يوجد فلادمير؟

-لأقسم أنني أرى منارة ميناء الإسكندرية، ألن تذهب لترى؟

-حالمًا أنتهي سأذهب وأرى.

-هل هذا الجواب لصديقتك؟

-بل لأمي.

-من المؤكد أنك مشتاق لها وهي مشتاقة لك، ماذا ستفعل عندما تعود؟

-لدي أولاً كم عمل أريد إنجازهم، وقد لا أعود.

-ماذا تقصد؟

-دعك مني، أنا أهذي فقط، ما أريدك أن تعرفه أن والدتي لا تعرف القراءة.

-يبدو أنك لم تنم جيدًا، هل ستأتي إذن لترى الإسكندرية؟

-سأعود يومًا ما، سأعود.

تمت

محمد علي

